487

HARLEQUIN

روايات أحلام

EPP174

شعاع خلف الغيوم

كارول مورتيمر

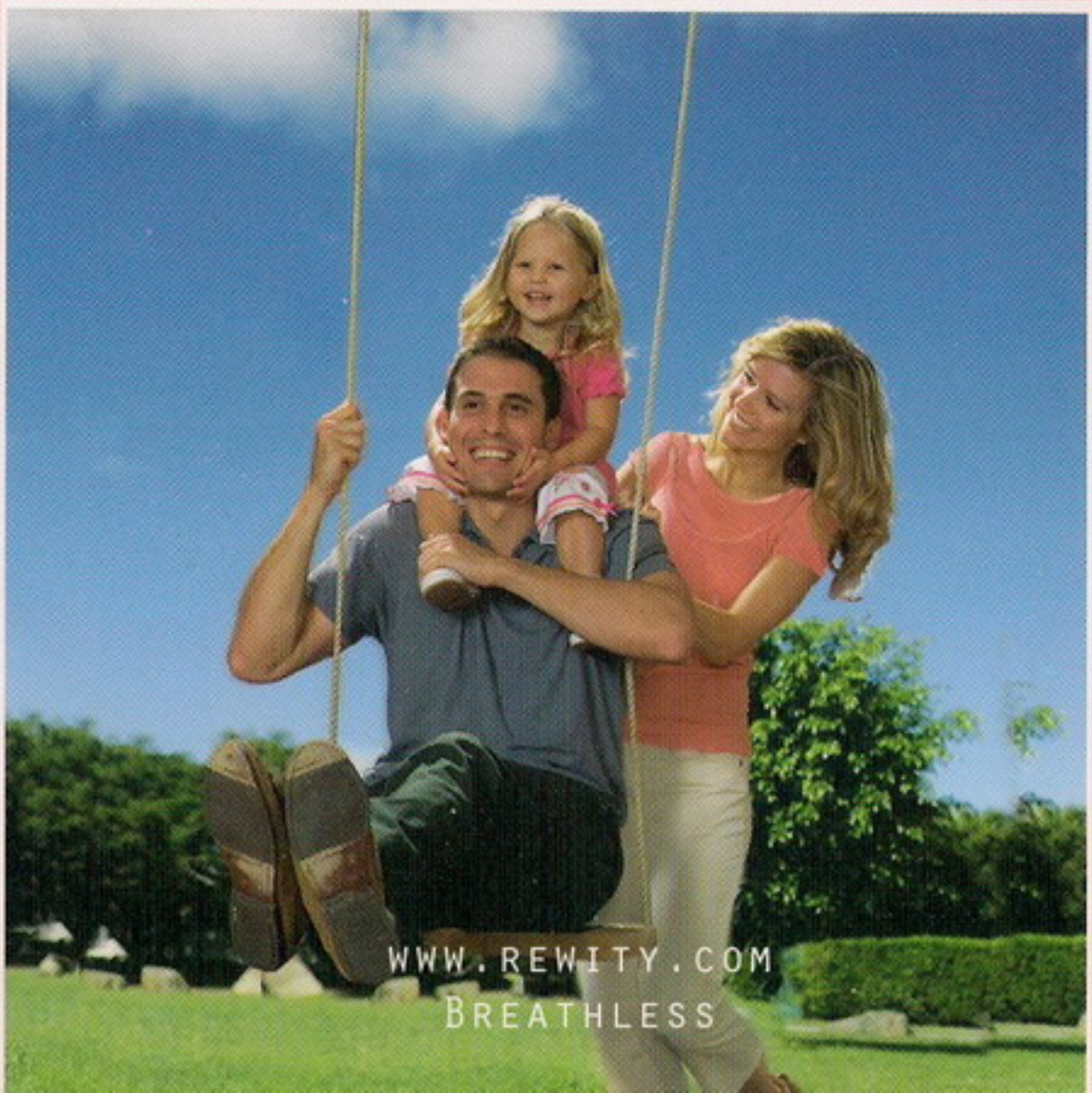

شعاع خلف الغيوم

أُغرمت غابرييلا بنيتو بابن زوج أمها الثري روفوس غريشام، ما إن رأته للمرة الأولى. لكن روفوس أفشل محاولاتها الطفولية للتقرب منه، معتقداً أن السبب الوحيد الذي يدفعها نحوه هو الحصول على زوج ثري تماماً كما فعلت أمها.

بعد مرور خمس سنوات، أجبر روفوس و غابرييلا على الزواج من بعضهما من أجل الحفاظ على ميراثهما. و يوم زفافهما، فوجئت غابرييلا عندما عانقها روفوس بشغف و شوق، لكنها شعرت بانزعاج لأنها استجابت لذلك العناق.

فهل سيرغب روفوس باعتبار زواجهما حقيقياً!!

www.rosity.com

ISBN 978-9953-15-522-7

لبنان،	3000 ل.ل	البحرين،	1 دينار
سوريا،	100 ل.س.	السعودية،	10 ريال
الأردن،	1.5 دينار	مصر،	8 جنيه
الكويت،	750 فلس	المغرب،	15 درهم
الإمارات،	10 دراهم	تونس،	2.50 دينار
قطر،	10 ريال	عمان،	1 ريال

شعاع خلف الغيوم

كارول مورتيمر

www.rewity.com
Bewitched

روايات احلام

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Wife by contract, mistress by demand
First published in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
© Carole Mortimer 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2011
ISBN 987 - 9953 - 15 - 522 - 7

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.newity.com Breathless

كارول مورتيمر

«ولدت في انكلترا، وكنت الابنة الصغرى بين ثلاثة أطفال، فلدي أخوان أكبر مني. بدأت الكتابة سنة ١٩٧٨، وكتبت حتى اليوم أكثر من ١٠٠ رواية لـ «ميلز أندبون».

لدي أربعة أبناء: ماثيو، جشوا، تيموثي وبيتر، وأملك كلبة من صنف «كولي» اسمها ميرلين. زوجي أيضاً أسمه بيتر، ونحن صديقان كما أننا متحابان، وهذا يجعل علاقتنا الزوجية ناجحة تماماً».

كارول

تمهيد

- ماذا تعتقدين أنك فاعلة بحق السماء؟

رفعت غابرييلا رموش عينيها الطويلة السوداء، التي تحيط بعينيها الزرقاوين. نظرت عبر الشرفة إلى روفوس، الرجل الذي أُغرمت به منذ سنة كاملة، حين تزوجت أمها بوالده، والذي ما زال قلبها اليافع ذو الثمانية عشر عاماً يأمل بأن يبادلها الحب.

حاولت غابرييلا السيطرة على توترها، فبقيت ممددة على المقعد الطويل معرضة جسمها لأشعة الشمس، بدلاً من أن تركض لترحب به كما ترغب بأن تفعل. تعلمت بسرعة أن روفوس ليس الرجل الذي يمكن الركض وراءه. عليها الانتظار ليأتي إليها، حتى لو كان حب حياتها، ومجرد النظر إليه يجعل ركبتيها تضعفان وترتجفان من الشوق إليه!

تنتصب فيلا عائلة غريشام على سفح الجبل، وتطل على القرية الجميلة تحتها، كما أنها تشرف على منظر يخلب الألباب على البحر المتوسط. وقف روفوس عند مدخل الشرفة، وقد نزع عنه سترة بذلته الرقيقة بسبب الحر الشديد في فترة بعد الظهر. أما شعره الطويل العسلي اللون فراح يلمع كالذهب تحت أشعة الشمس، فيما عيناه الخضراوان الثاقبتا النظرات ظلتا مخبئتين وراء نظارتيه السوداوين. سؤاله والسخرية المتعمدة فيه يثبتان عدم رضاه، وذلك كافٍ ليعلم غابرييلا أنه غير سعيد برؤيتها هنا بمفردها على الشرفة تستحم بأشعة الشمس، وهي ترتدي

www.rewity.com Rewity

ثوباً للسباحة برتقالي اللون.

تعمدت غابرييلا القيام بذلك، إذ إن روفوس يعاملها كطفلة مشاكسة، أو يتجاهلها بشكل مطلق. لكنها تريد بشدة أن ينظر إليها كامرأة ناضجة وجذابة.

ابتسمت وهي تتمدد بتراخ: «أنا أعمل على اكتساب بشرة سمراء، روفوس!».

قال بغضب ما إن بدأ بالسير على الشرفة: «حباً بالله! ضعي رداء ما فوق هذه الثياب».

قالت غابرييلا وهي تكور شفتيها: «لماذا عليّ وضع رداء، وما من أحد سوانا هنا؟».

شعر روفوس بالامتنان لأنه يضع نظارتيه السوداوين، فهكذا يمكنه أن يخفي تأثره بها. كان جسمها يشع كالذهب بسبب الزيت الذي وضعته عليه. إنه جسم نحيل جميل، ليس فيه أي شائبة. في الواقع يصعب على أي رجل مقاومة جمالها. اقتحمت غابرييلا حياة روفوس منذ سنة، وهي لم تبذل أي جهد لإخفاء افتتانها به. أما هو فلا رغبة لديه في التجاوب مع اهتمامها، لاسيما أنه راشد في الثلاثين من عمره.

على الأقل، لم تكن لديه تلك النية، حتى سار عبر الشرفة منذ دقائق قليلة ورآها مستلقية هناك.

- قد يدخل أي شخص إلى هنا.

قاطعته لترد عليه بمنطق: «لا يمكن لأي شخص سواك أن يأتي إلى هنا، كما أن النساء على شاطئ القرية يرتدين ثياب سباحة تكشف أكثرمن الثوب الذي أرتديه».

يعلم روفوس أن شاطئ القرية مليء بالنساء في مثل هذا الوقت من النهار، ومعظمهن يرتدين ثياب بحر أقل حشمة مما ترتديه غابرييلا، هذا صحيح، لكن أي واحدة منهن ليست بمفردها مع رجل لم تخجل

من إخفاء إعجابها به لمدة سنة كاملة. سألها بخشونة: «أين هما والداك؟».

اعترف بفقدان صبر ويأس، أن حضور والده ووالدة غابرييلا زوجة أبيه، سيخفف من غرابة هذا الوضع، بالرغم من أنه يجد أن زواج والده من هيثر، أمر مقلق تماماً كوجود هذه المخلوقة الجميلة قربه. إنه هنا فقط في زيارة لوالده لمدة يومين، وهو في طريق عودته من رحلة عمل إلى إسبانيا.

- أراد جيمس الذهاب إلى بالاما اليوم لشراء هدية لأمي لمناسبة ذكرى زواجهما الأولى، لكنهما سيعودان بعد ساعات قليلة.

نظرت إليه غابرييلا بعينين ناعستين، وهي تتابع: «انتظرا عودتك هذا الصباح، وعندما تأخرت اتصلا بشركة الطيران، وعلما أن موعد وصول طائرتك تأخر ثلاث ساعات. كما أن مارغريتا في عطلة أيضاً».

رفعت كتفيها اللامعتين المصقولتين، وقالت: «لذا قلت لهما إنني سأبقى هنا بانتظارك».

تباً! إن مدبرة المنزل والطاهي ليسا هنا أيضاً. بدت غابرييلا قلقة ما إن شعرت بانزعاجه الواضح.

- لا داعي للانزعاج روفوس، أم أنك تشعر بالارهاق من الحر وغبار السفر؟ لِمَ لا تسبح قليلاً؟

اقترحت عليه ذلك بنبرة صوت طبيعية، بدت وحدها كافية لتجعل أعصابه تنتفض بقوة.

غابرييلا ماريا لوسيا بنيتو، ابنة هيثر وأنطونيو بنيتو المتوفي!

باستثناء عينيها البنفسجيتين الغامضتين، ورثت غابرييلا جمالها من والدها الإيطالي. بدا شعرها الرائع متدلياً كشلال أسود على ظهرها بخصلاته المتشابكة، أما لون بشرتها فبدا أسمر فاتحاً، كما أن السمرة التي اكتسبتها تحت أشعة الشمس خلال الأسابيع التي أمضتها هنا في

الفيلا، زادتها جمالاً فوق جمال.

لا يستطيع روفوس أن ينسى أن هيثر كانت تعيش في شقة صغيرة مع ابنتها الشابة، وأنها كانت تعمل سكرتيرة لدى جيمس كي تعيل نفسها وابنتها. وفقاً لوجهة نظر روفوس، تزوجت هيثر من والده لأنه مليونير، كما أنه مالك شركة غريشام الشهيرة، وهي شركة تجارية مركزها الأساسي في لندن، وهي ذات شهرة عالمية. أما ابنة هيثر الرائعة الجمال غابرييلا فقررت بعد دراسة، أنه الابن الوحيد لجيمس ووريثه، وهو أيضاً زوج مثالي لها. لكن هناك مشكلة واحدة في هذا المجال، إذ لا رغبة مطلقاً لروفوس بالزواج ثانية. لقد تزوج من قبل، واكتشف أن اهتمام أنجيلا الوحيد هو مال غريشام. إذ ما لبثت أن تخلت عنه تاركة وراءها ابنة لم تبلغ الشهرين من عمرها. تم الطلاق بعد ستة أشهر بطريقة علنية، ومثيرة للفوضى والقلق. اضطر روفوس إلى إعطاء أنجيلا مبلغاً ضخماً يوازي نصف ثروته من أجل الحصول على الوصاية على الطفلة التي لم تكن أنجيلا تريدها بأي حال.

أثناء تلك الفترة من الاضطراب دخلت غابرييلا ماريا لوسيا بنيتو حياته. لم يتعلم والده الأرمل أي شيء من تجربة روفوس، إذ أعلن في ذلك الوقت أنه يرغب في التقاعد من إدارة شركة غريشام، لكي يتزوج من سكرتيرته الأرملة الجذابة البالغة من العمر خمسين عاماً. هكذا دخلت هيثر حياة والده منذ سنة، مصطحبة معها ابنتها الوحيدة وهي في السابعة عشرة من عمرها.

بدت غابرييلا طويلة القامة، رشيقة، وذات جمال أخاذ، وهي ترتدي قميصاً قصيرة الكمين مع سروال جينز ضيق جداً. نظرت إلى روفوس نظرة واحدة، ويبدو أنها قررت ملاحقته ليعترف بأنها امرأة جذابة. منذ ذلك الوقت، وفي كل مرة يزور فيها والده في منزل غريشام، تلاحقه نظراتها المتلهفة في كل مكان.

لكن تجربة روفوس مع أنجيلا جعلته غير راغب في الزواج من جديد. حتى لو فكر ثانية في الزواج من أجل إعطاء ابنته البالغة من العمر سنتين أماً، فإن غابرييلا ماريا لوسيا بنيتو هي آخر فتاة في العالم قد يختارها. باحثة واحدة عن الذهب كافية في العائلة، أي أمها. قرر روفوس بعد إلقاء نظرة شاملة على غابرييلا، أنها بدون أي شك فتاة جميلة جداً.

تمتم، وهو يبدأ بفك أزرار قميصه: «أعتقد أنني راغب في الغطس قليلاً في البركة. هل قلت إن والديك سيتأخران بضع ساعات بعد؟».

أكدت له غابرييلا بصوت مضطرب: «أجل».

راقبته وهو ينزع قميصه ليبدو صدره الأسمر القوي العضلات. تورد وجهها ما إن لاحظت الشعر الأسود على صدره. ابتلعت غابرييلا غصة بصعوبة، وهي تحدق بوجهه الوسيم، وبعينيه الخضراوين اللتين ما زالتا مخبأتين تحت النظارتين السوداوين. جلس روفوس على حافة المقعد الطويل، وقال ببساطة: «هل تضعين بعض الزيت على ظهري؟».

ارتجفت يدا غابرييلا قليلاً ما إن سكبت الزيت على راحتيهما، قبل أن تتحركا لتلامسا كتفيه العريضتين. شعرت بالفرح لملامسة عضلاته القوية، وهي تدلكها بأصابعها الناعمة، التي تحركت بخفة على عموده الفقري. لم تفكر للحظة - حتى في أغرب أحلامها التي لا تحصى أو تعد طوال هذه السنة - أنه سيسمح لها أن تقترب منه، وتلمسه وتشعر بقوته، لدرجة أنها راحت ترتجف من شدة الشوق إليه.

استدار روفوس واستلقى على ظهره على المقعد، ثم نزع النظارتين عن عينيه، ونظر إلى غابرييلا التي تجلس الآن بجانبه.

وضعت غابرييلا الزيت على صدره، وحبست أنفاسها وهي تشعر بنظراته تقيّم كل حركة تقوم بها. شعرت بوجهها يتقد من الحرارة. تجنبت النظر إليه لتحدق بيديها السمراوين، وهما تتحركان برفق على

بشرته وعلى عضلاته المشدودة. ارتجفت يداها وهي تضع المزيد من الزيت. ما زالت أمامهما ساعتان أو أكثر قبل عودة الوالدين. هذا ما فكرت به غابرييلا.

نظر روفوس بعمق إلى عينيها، ثم قفز عن المقعد ليبدل موقعيهما. أخذ وقتاً كافياً ليضع الزيت على يديه. قبل أن يحركهما على ظهرها وكتفيها. تأوهت غابرييلا، ما جعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة إليه. لم يستطع روفوس تمالك نفسه، إذ جذبها نحوه، وعانقها...

شعرت غابرييلا أنها محتجزة في شرنقة من العاطفة أثارها في أعماقها. وفقط... عندما اعتقد أنها لا تستطيع تحمل المزيد، ابتعد روفوس عنها. رفع رأسه لينظر إلى عينيها وعيناه مليئتان بالرضى. لم تعد قادرة على التنفس، فهي لم تشعر يوماً بمثل هذا الإحساس في حياتها. رفعت يديها ومررت أصابعها في شعره الأشقر، ثم ضمته إليها. لم تعش يوماً تجربة مماثلة في حياتها، حتى في أحلامها الرومنسية بشأن روفوس. لا شيء أعدها لهذه المواجهة الحسية التي سببتها لها لمساته، كما أنها لم تشعر يوماً بالسعادة التي تشعر بها في هذه اللحظة. فكرت أن روفوس لا يمكن أن ينظر إليها على هذا النحو لو لم يكن يحبها أيضاً. ابتسمت وهي تتخيل السعادة التي ستعيشها في المستقبل معه عندما تصبح زوجته. كم ستتفاجأ أمها وجيمس عندما سيخبرانهما أنهما...

علق روفوس بسخرية وهو ينظر إلى عينيها: «الأمر ليس سيئاً على الإطلاق، غابرييلا».

لمعت عيناه ببرودة، وغاب عنهما ذلك الإحساس بالإعجاب وهو يتابع: «في الواقع، أنت متجاوبة تماماً».

جالت نظراته عليها بانتقاد واستياء، ثم أكمل: «لكن أعتقد أن عليك أن تحتشمي قبل عودة والديك».

أضاف بسخرية: «نحن لا نريد أن نسبب لهما الصدمة. أليس كذلك؟».

رمشت غابرييلا بعينيها. حدقت به وهي تقطب جبينها، ولم تدرك عما يتحدث الآن. نظر روفوس إليها وعانقها كما لم يفعل أحد من قبل، متخطياً كل ما يمكن أن تحلم به. صحيح أنهما لم يقيما أي علاقة حميمة، لكن ما تشاركا به من أحاسيس يؤخذ بالحسبان.

وقف روفوس وهو يتمطى ببطء، ثم قال: «أعتقد أنني سأذهب للسباحة الآن. بعد ذلك أنا بحاجة لأتناول طعاماً ما».

أيريد أن يتناول الطعام؟ كيف يمكنه أن يبدأ بالتحدث عن الطعام بمثل هذا الهدوء؟ نظر روفوس إليها بعينيه الباردتين نظرة تقييمية، ولوى شفتيه باستياء قائلاً: «ما الأمر، غابرييلا؟ ألا يعجبك ما حدث؟».

ابتسم بسخرية، وتابع: «حسناً! أعطني فرصة لأستحم وشيئاً ما لآكله، عندها ربما سأصبح في مزاج جيد لمزيد من...».

لمعت الدموع في عينيها البنفسجيتين، وسألته بنبرة تنضح بالألم: «لماذا تتصرف على هذا النحو؟».

أجاب روفوس بتهذيب متكلف: «كيف؟».

لن يقع أسير تلك الدموع. ذرفت أنجيلا الكثير منها للحصول على ما تريده، طوال فترة الثمانية عشر شهراً التي أمضياها معاً. إنها دموع التماسيح، وكلها كاذبة ومخادعة.

رمشت غابرييلا بعينيها، وهي تشعر بالذهول، ثم أجابت: «لكننا كنا...».

صحح لها بقسوة: «لا، غابرييلا! أنت أردتني أن أتقرب منك طوال السنة الماضية، والآن فعلت ذلك».

رفع كتفيه بلا مبالاة، وتابع: «إذاً، ما الذي يدفعك إلى التذمر؟».

هزت رأسها قائلة: «أنا لا أفهم».

ذكرها بفقدان صبر: «غابرييلا! وصلت للتو من المطار، وأمضيت في الطائرة سبع ساعات متواصلة».

بدا مصمماً على عدم التأثر بالاستغراب الواضح في هاتين العينين البنفسجيتين. تابع بغضب: «أنا متعب وجائع. إن كنت تريدين المزيد مني، عليك أن تنتظري على الأقل حتى ألبي رغباتي الأخرى».

قالت غابرييلا وهي تحدق به وتهز رأسها: «لكنني ظننت... ظننت أنني وأنت...».

فقد روفوس صبره نهائياً، فقال: «هل ظننت أنك ستغوينني، تماماً كما حاولت أن تفعلي طوال هذه السنة؟».

أضاف بازدراء وسخرية: «وبعد ذلك سأطلب منك الزواج، وسأتصرف كالعاشق الغبي، كما يفعل أبي مع أمك الجشعة المحبة للمال؟ حسناً! فكري جيداً، غابرييلا. أعطيتك كل ما أرغب في تقديمه لك، وإن أردت المزيد، لربما سأفكر بالموافقة، لكن ليس الآن».

حدقت غابرييلا إليه والدموع تملأ عينيها. إنها تحب هذا الرجل، واعتقدت أن استجابته لها تعني أنه يبادلها الحب، لكن كل ما فعله مجرد أمر عادي بالنسبة له. إنه مجرد إحساس جسدي يملك السيطرة الكاملة عليه، أما الغاية مما قام به فهي أن يذلها، وقد نجح بذلك. الأسوأ من ذلك هو أنه وصف أمها بالجشعة. أمها الرائعة التي ذاقت الأمرّين بسبب زواجها من والد غابرييلا، والتي تستحق كل لحظة سعادة تعيشها الآن مع جيمس.

- روفوس! لا يمكن أن تصدق بالفعل أن أمي... إنها تحب والدك كثيراً.

إن كان روفوس يظن مثل هذه الأمور عن أمها، فماذا تراه يظن بها؟ قال روفوس هازئاً: «آه! من السهل أن تحب شخصاً إذا كان هذا الحب يوازي الملايين التي يملكها والدي».

دافعت غابرييلا عن أمها بحرارة: «لكنها تحبه حقاً».

زفر بغضب وقال: «بالطبع تحبه، لدرجة أنها قبلت منه مئة ألف جنيه قبل أن يتزوجا. هذا مبلغ مبالغ فيه لقبول عرض الزواج. ألا تعتقدين ذلك؟».

شهقت غابرييلا، ووقفت على الفور: «ماذا تقول؟ أنا لا أدري عما تتحدث».

تنهد روفوس بضيق، وأجاب: «آه، هيا! غابرييلا، اعترفي أنني أقول الحقيقة بشأن المال والديون، وبعدها نستطيع التفاهم. أليس كذلك؟».

إنها حقاً لا تعرف عما يتكلم، وهي متأكدة أن هناك خطأ ما في ما يقوله، فأمها لن تستدين أبداً.

- أنت مجرد شخص مليء بالمرارة، وتتخيل الأمور روفوس، لأن كل شخص يعلم أن أنجيلا تزوجت بك فقط من أجل...

توقفت غابرييلا عن الكلام مدركة أنها تمادت كثيراً، ما إن رأت وجه روفوس يتحول إلى لون داكن جداً. بدا كأنه يميل فوقها الآن، وعيناه الخضراوان أصبحتا باهتتين فيما تحول لونهما إلى الفضي.

قال بنبرة خطرة: «ماذا؟ أنجيلا تزوجت بي من أجل ماذا؟».

تعرف أمها كل تفاصيل زواج روفوس وطلاقه أيضاً، لكنها ترى أن من الأفضل ألا يتحدثوا بشأن ذلك أبداً، والآن ها هي غابرييلا ترمي بوجهه تلك الحقائق دفعة واحدة! لكنه تعمد إهانة أمها، حباً بالله! واتهاماته كلها غير صحيحة.

هزت رأسها وهي تجيب: «ليست كل النساء مثل أنجيلا...».

قاطعها روفوس بقسوة: «أحقاً؟ أتنكرين أنك لم تفعلي شيئاً طوال السنة الماضية إلا محاولة لفت انتباهي؟».

شعرت غابرييلا بوجهها يتقد من النار بسبب ازدرائه الواضح.

أجل! إنها مولعة به، وهي لا تخجل بذلك. وطوال السنة الماضية، بل منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها، حاولت لفت انتباهه لأنها مغرمة به، وليس بسبب ما يفكر به أو يلمح إليه.

حدق روفوس بها بازدراء، وسألها: «هل تنكرين أنك بقيت هنا أيضاً من أجل إغوائي؟».

علمت غابرييلا أنها لا تستطيع أن تنكر ذلك أيضاً، لكنها فعلت ذلك لأنه... لأنه بقي محصناً تماماً أمام محاولاتها السابقة بأن تظهر له كم هي مغرمة به. الآن أدركت سبب بقائه محصناً أمامها. إنه يعتقد أن أمها تزوجت والده طمعاً بماله، وهو يعتقد أنها تريده فقط للسبب نفسه.

هزت غابرييلا رأسها بحزم قائلة: «أنا لا أصدق أي كلمة قلتها عن أمي».

قال يتحداها بكره وضيق: «إذاً، اسأليها غابرييلا. كل ما عليك فعله هو أن تسأليها فقط».

هز رأسه بسخرية، وتابع: «لا فكرة لدي مطلقاً لماذا يزعج والدي نفسه بالزواج من هيثر، في حين أنه كان يدفع لها المال مسبقاً».

توقف روفوس عن الكلام بشكل مفاجئ، ما إن سقطت يد غابرييلا على خده بقوة.

مدّ يده، وأمسك برسغها. قرّب وجهه بطريقة خطرة من وجهها الآن، وعيناه تلمعان بحرارة باردة كالثلج. رأت غابرييلا آثار يدها على خده على شكل خطوط حمراء وهو يقول من بين أسنانه: «افعلي ذلك ثانية، غابرييلا، وأعدك أنك ستندمين على فعلتك تلك طوال حياتك!».

لمعت عيناها بقوة وهي تحدق به. تنفست بصعوبة من شدة توتر الوضع بينهما. قالت: «أكرهك!».

أجاب روفوس برضى: «هذا أفضل. ربما سيعلمك هذا أن تتركيني وشأني في المستقبل كهدف محتمل للحصول على زوج ثري».

أكدت له بصدق وعاطفة: «لن أقترب منك مجدداً، ولو كنت الرجل الأخير على الأرض».

علق بسخرية وازدراء: «يا لسخافة ما تقولينه!».

أجابت غابرييلا بصدق وإحساس عميقين: «أيها الوغد! أنت وغد بالفعل، وأنا أكرهك».

استدارت، وركضت نحو الفيلا.

وقف روفوس بجمود على حافة البركة لعدة دقائق وهو يشعر بغضب كبير، قبل أن يستدير ويغطس بعمق في المياه مستمتعاً ببرودتها. ها قد أصبحت غابرييلا تكرهه، وهذا أمر جيد بالفعل. لماذا إذاً لا يشعر بالرضى كما تخيل أنه سيفعل؟

١ - فخ لا مفر منه

بعد مرور خمس سنوات. . .

جلست غابرييلا تحدق بروفوس عبر مكتب المحامي، وعرفت أنها ما زالت تكرهه!

قال السيد دايفيد بروستر بنبرة مهذبة، ما إن جلسوا: «اسمحوا لي أن أصل مباشرة إلى بنود وصية السيد غريشام».

قال روفوس بتهذيب: «تفضل».

علمت غابرييلا أنه لا يريد رؤيتها هنا أو رؤية ابن عمته طوبي، بالنظر إلى الطريقة التي تبادل بها الرجلان التحية منذ دقائق.

بالرغم من كل شيء، هي توافقه الرأي، لاسيما بعد ما فعله طوبي. مع أنها تعلم أن روفوس لن يصدقها، لكنها تتمنى حقاً لو أنها ليست هنا.

ليت جيمس لم يمت، وما زال هنا ليقدم لها نصائحه الأبوية، ويغدق عليها الحب الذي أحاطها به منذ أن توفيت والدتها قبل ما يزيد عن السنة، ذلك الحب الذي لا يقدر بثمن.

أصيب جيمس بدمار كامل بعد وفاة هيثر إثر حادث تحطم سيارتها، ولم يشفَ مطلقاً من صدمته. أصيب بأزمة قلبية منذ ستة أشهر، ثم أصيب بأزمة أخرى مميتة منذ شهر.

لو أعطيت غابرييلا أي خيار، لفضلت لو أن جيمس وهيثر ما زالا على قيد الحياة، بدلاً من أن تُستدعى إلى هذا المكتب لرؤية المحامي،

تماماً مثل روفوس وطوبي، من أجل الاستماع إلى وصية جيمس.

هي وروفوس لم يتحدثا معاً منذ أن وصلا، كما أنهما لم يتبادلا أي حديث طوال السنوات الخمس الماضية، وهما لن يتحدثا معاً أبداً بعد أن يتم قطع هذا الرابط الأخير مع جيمس.

بدت ملامح دايفيد بروستر حزينة وهو يفتح الملف الرسمي الموضوع على مكتبه. رفع المحامي نظره ليحدق بهم من فوق نظارتيه الموضوعتين على أرنبة أنفه.

قال ببطء: «في البداية أود أن أوضح أنني بعثت رسائل إلى الورثة الآخرين أصحاب الحصص الصغيرة في وصية السيد غريشام، أعني الأشخاص الذين يعملون في المنزل. كما أن هناك بالطبع اعتماداً مالياً لحفيدته هولي، تتم إدارته من قبل والدها ومن قبلي، حتى تصبح بعمر يخولها الحصول على المبلغ بأكمله».

قال طوبي بفرح: «محظوظة جداً هولي».

طوبي يعمل في التمثيل، إلا أن وسامته الواضحة لسوء الحظ لا تعوض نقص موهبته. وهذا يعني أنه يبقى عاطلاً عن العمل في معظم الأوقات.

- من المؤسف أنها ليست في الثامنة عشرة من عمرها بدلاً من السابعة. لو أنها كذلك لكنت قادراً على الزواج بها.

أجابه روفوس على الفور: «فوق جثتي».

رد طوبي راغباً في إزعاجه: «إن احتاج الأمر إلى ذلك، فلِم لا؟».

بالكاد أصغت غابرييلا لما يجري حولها، إذ راح توترها يزداد لدرجة لا تحتمل، ما إن ذكر دايفيد بروستر أصحاب الحصص الصغيرة من ورثة جيمس بلا اهتمام.

ماذا يعني بذلك؟ أهي من الورثة ذوي الحصص الكبيرة؟ إن كان هذا صحيحاً، فروفوس سيكرهها أكثر من ذي قبل.

ضاقت نظرة روفوس وهو يحدق بالمحامي العجوز. سأله: «هل يمكنني أن أعلم إن كانت هذه الوصية لوالدي حديثة؟».

أجاب المحامي بهدوء وصراحة: «بالطبع هي كذلك، سيد غريشام. في الواقع، تمت صياغتها قبل شهرين فقط من وفاة والدك».

تضاعف انزعاج روفوس مما قد يجده في وصية والده. في الواقع، هذا الانزعاج سببه وجود طوبي ابن عمته السيء السمعة هنا. لطالما كان طوبي المستفيد الدائم من كرم جيمس، إلى أن وقع النزاع بين الخال وابن أخته منذ ثلاثة أشهر مضت.

أما غابرييلا... فبالكاد رآها خلال السنوات الخمس الماضية. فقد عاشت في فرنسا لمدة ثلاث سنوات، حيث تدربت لتصبح طاهية. نادراً ما التقيا منذ أن عادت إلى إنكلترا قبل سنتين. لكن كلما التقيا، كان روفوس يدرك بوضوح القوة الهائلة لكرهها له.

لم تفعل السنوات الخمس أي شيء لتقلل من جمالها! لاحظ ذلك بضيق وهو ينظر إليها بعينين ضيقتين.

في الواقع، إن أراد قول الحقيقة، إنها أكثر جمالاً من ذي قبل. لم يظهر أي شوق متهور على وجهها الآن. ما زال شعرها يبدو كشلال أسود على ظهرها، لكن نحالتها ورشاقة جسمها جعلتاها شبيهة بعارضات الأزياء. بدا وجهها أكثر نحولاً، ما جعل عينيها البنفسجيتين تبدوان أكبر وأكثر اتساعاً، أما خداها فأكثر بروزاً وذقنها أكثر دقة، لكن شفتيها ما زالتا مكتنزتين.

هو لا يزال يتذكر مرأى هذا الجسد الجذاب، المختبئ الآن تحت سروال أسود ضيق وقميص حمراء اللون تشبه ثياب الغجريات. لوى شفتيه بازدراء وهو يستدير، رافضاً العودة إلى ذكرى ذلك اليوم الذي رآها فيه عند بركة السباحة.

رأت غابرييلا ذلك الازدراء على وجه روفوس قبل أن يعيد انتباهه

إلى المحامي، وأدركت سببه. ما زال روفوس يعتقد أنها ليست إلا مجرد جشعة وباحثة عن الذهب.

تابع المحامي يقول بتوتر: «الآن أتينا إلى سبب دعوتكم للقدوم إلى هنا اليوم. كان السيد غريشام شديد الاهتمام والحرص على أن أتحدث إليكم أنتم الثلاثة معاً بشأن هذه المسألة. ما إن أشرح محتوى الوصية لكم، سيظهر بوضوح السبب الذي دفعه إلى الإصرار على هذا الطلب».

شعرت غابرييلا بعضلات معدتها تنقبض، وسيطر عليها حس داخلي مخيف.

هزّ دايفيد بروستر رأسه بقوة، قبل أن يقول: «يمكنكم أن تقرأوا الوصية بأنفسكم، لكن البنود الهامة هي التالية: «يترك السيد غريشام ثروته بأكملها، والتي تقدر بخمسين مليون جنيه في الوقت الذي كتبت فيه الوصية، إلى ولديه روفوس جيمس غريشام وغابرييلا ماريا لوسيا بيتو».

قاطعه طوبي بفكاهة: «هل تتزوجين بي، غابرييلا؟».

لم تأخذ غابرييلا كلامه على أنه سؤال، لذا لم تفكر بالإجابة.

لاشك أن طوبي يدرك تماماً مدى الكره الكبير الذي تشعر به نحوه، لاسيما بعد أن حاول فرض نفسه عليها قبل ثلاثة أشهر. بدت مذهولة لدرجة أنها غير قادرة إلا على التحديق بدايفيد بروستر!

رمى المحامي طوبي بنظرة استخفاف من فوق نظارتيه، وقال: «إن كنت أستطيع المتابعة...».

أردف متابعاً قراءة الوصية: «... كل ممتلكاتي عبر البحار وفي إنكلترا، يجب أن تقسم بالتساوي بين ولديّ، باستثناء المتاجر في إنكلترا ونيويورك والتي ستصبح ملكاً خاصاً لروفوس جيمس غريشام، بعد انتهاء مدة الستة أشهر. وذلك بعد أن يعيش روفوس وغابرييلا معاً في منزل غريشام طوال تلك المدة كزوج وزوجة. تلك الأموال

والأملاك المذكورة وكل الديون المستحقة ستصبح من حق ابن أختي طوباس جون رييد، إن لم تتم الموافقة على شروط الوصية».

أصدرت غابرييلا تأوهاً خفيفاً من أعماق صدرها. سألها المحامي بلطف وهو ينهي كلامه: «هل قلت شيئاً، آنسة بنيتو؟».

هل أقدمت على التأوه بصوت عالٍ؟ من المؤكد أن غابرييلا لم ترغب أو تقصد القيام بذلك. أدركت أن روفوس وطوبي ينظران إليها بفضول أيضاً. أكدت قائلة للمحامي: «لا، مطلقاً!».

لكنها انكمشت على نفسها. فهي تعلم بالتحديد ماذا يقصد جيمس بقوله: كل الديون المستحقة.

بعد وفاة أمها بفترة قصيرة، ومنذ سنة تقريباً، حصلت غابرييلا على قرض من المصرف لتؤسس مطعماً خاصاً بها، لكن الأمور سارت بطريقة خاطئة أوصلتها إلى الكارثة.

كلفة تجديد المكان تخطت المبلغ المخصص لذلك، وقبل ليلة الافتتاح اندلعت النار في المطبخ، فاضطرت إلى شراء معدات جديدة بسرعة قصوى. بعد شهرين من الافتتاح أقدم موظف على خداع زبون والاستيلاء على خمسة آلاف جنيه من بطاقته المالية. رفض الزبون التعويض الذي عرضته عليه، وأصر على رفع دعوى، ما أفسد سمعة مطعم بنيتو.

هذا الأمر أجبر غابرييلا على إغلاق المطعم في غضون شهر. جراء ذلك كله بقيت مدينة للمصرف بمبلغ قدره ثلاثين ألف جنيه، فيما لم يبقَ لديها إلا الأجر الذي تتلقاه من عملها كمساعدة طاه في أحد المطاعم.

سارع جيمس إلى دعمها مالياً وإنقاذها من تلك الكارثة الفعلية. لكنهما -وتحت إصرار غابرييلا كشرط لقبول المال- قاما بإبرام عقد قانوني يجعلها في نهاية الأمر تعيد المال إليه. إنه عقد قانوني يُظهر بالتحديد مقدار الدين المستحق.

إن لم تعش مع روفوس كزوجة له لمدة ستة أشهر، فسوف تصبح مدينة بالمال لطوبي، وهو رجل تحتقره وتكرهه أكثر مما تكره روفوس.

نظرت إلى روفوس من تحت رموشها، وعلمت من ملامح وجهه الوسيم المتكبر أنه انتبه للتأوه الذي صدر عنها، والذي يعبر عن الألم والمعاناة، وها هو يتساءل عن سبب ذلك. سألها ببرودة، وهو يقف: «هل كنت تعلمين بأمر هذه الوصية؟».

رمشت جفون غابرييلا بسبب هجومه، وشحب لون وجهها. لمعت عيناها البنفسجيتان بقوة وهي تشهق قائلة: «كان علي أن أعلم أنك ستلقي عليّ اللوم بطريقة ما».

أجاب روفوس على الفور بنبرة تنضح بالكراهية: «على من أضع اللوم إذاً؟ والدي وراء الاتهام الآن، فيما أنت الوحيدة القادرة على الاستفادة من هذا كله».

لم يفكر مطلقاً حتى في أسوأ تخيلاته، أن والده قد يقدم على أمر كهذا.

ضحكت غابرييلا ضحكة مريرة لا أثر للمرح فيها: «أنت لا تعتقد مطلقاً أنني سأختار فعلاً الزواج بك، روفوس!».

تابع روفوس التنفس بعمق للحظات عدة، محاولاً بقوة السيطرة على غضبه المدمر، مدركاً أن طوبي يستمتع بالمشادة الدائرة بينه وبين غابرييلا. وأن دايفيد بروستر منزعج جداً من الأمر.

لا! هو لا يعتقد أن غابرييلا ستختار الزواج به. ليس بعد أن تعمد إهانتها في ماجوركا منذ خمس سنوات.

في الواقع، فعل ذلك بتعمد واضح، لأنه لم يكن مطلقاً محصناً أمام هذه المرأة ذات الجمال الفاتن. استجابتها له أمر شغله لوقت طويل، فهو لم يعرف إحساساً مماثلاً من قبل. لكنه يدرك أيضاً أن غابرييلا هي ابنة هيثر، المرأة التي أخذت المال من والده قبل أن يتزوجا، وذلك

بالطبع لم يكن مبلغاً صغيراً.

بدا والده مسلوب العقل مع زوجته الثانية، فعمي عن كل شيء باستثناء حقيقة حبه لها. حتى إنه انهار تماماً عندما توفيت، حتى إنه توقف عن التفكير في العيش والاستمرار في الحياة. لكن كما يبدو ظلت لديه القدرة على كتابة هذا الشرط اللامعقول في وصيته، رابطاً روفوس بغابرييلا لمدة ستة أشهر بواسطة الزواج.

استدار روفوس لينظر إليها وهو يقول منتقداً: «آه... هيا، غابرييلا! كلانا نعلم إلى أي مدى أنت قادرة على الوصول، إن علمت أن الجائزة كبيرة بما يكفي».

قالت غابرييلا بغضب: «أنت وغد حقيقي!».

زفر بسخرية وعلق: «المسكينة غابرييلا! ألم تستطيعي قول عبارة أفضل من هذه؟».

- ولماذا أزعج نفسي، ما دام الوصف يناسبك بشكل مثالي؟

قطع الصوت المرتبك لدايفيد بروستر المشهد العاصف بينهما، قبل أن يتمكن روفوس من الرد عليها بجواب لاذع.

- آه، عزيزاي! يبدو أن السيد غريشام أخطأ في حكمه بالنسبة لكما.

أكد روفوس بحزم: «لا! على الإطلاق. والدي كان يدرك تماماً العداوة القائمة بيني وبين غابرييلا».

روفوس يعلم جيداً أن جيمس شعر بالحزن بسبب ذلك. كما أن والده نصحه عدة مرات أن يتزوج ثانية، ويمنح ابنته البالغة من العمر سبع سنوات أماً تعتني بها وتقوّم عيوبها الناتجة عن الدلال المفرط، لكن روفوس أخبره أن لا نية لديه أبداً في ذلك بعد تجربته المريرة.

حسناً! يبدو أن جيمس قرر تصحيح هذه الأمور حتى بعد وفاته بفرض ذلك الشرط السخيف على كل من روفوس وغابرييلا، ليتمكنا من الحصول على ميراثهما، من دون أن يغفل ذكر أن طوبي سيرث كل

شيء بدلاً منهما إن لم يحققا إرادته.

هذا أمر علم جيمس بدون شك أن روفوس لن يسمح بحدوثه مطلقاً، فطوبي يفتقد إلى حس المسؤولية، وهو سيدمر شركة غريشام في غضون سنة، وسيبدد كل الأموال في فترة قصيرة.

يملك روفوس ما يكفي من المال من دون الحاجة إلى أموال والده، أما أملاك والده في سوري وآسبن وماجوركا والباهاما فلا تهمه، لكن المتجرين اللذين تملكهما شركة غريشام أمر مختلف تماماً.

وضع روفوس كل ما لديه من خبرة في هذين المتجرين طوال السنوات الست الماضية، ما جعلهما أكثر شهرة من ذي قبل، وهو لن يدع شخصاً مثل ابن عمته طوبي يحصل عليهما ويدمرهما.

لكن... أهو قادر على الزواج بغابرييلا، والعيش معها لستة أشهر من أجل الحفاظ على الشركة؟ هل هو قادر على القيام بذلك؟

نظر المحامي إليهما وهو مقطب الجبين: «في الواقع، علي أن أعترف أنني وجدت الأمر غريباً. لكن لا شيء قلته جعل السيد غريشام يبدل رأيه بشأن هذا الشرط الغريب في وصيته».

ما إن أنهى المحامي كلامه، حتى هز رأسه بحزن وتفهم.

تساءلت غابرييلا، بحق السماء! ما الذي أمل جيمس بتحقيقه من وضع هذا الشرط غير المقبول في وصيته؟ إنه شرط غير مقبول لكليهما، كما لاحظ المسكين دايفيد بروستر.

بالطبع، روفوس لا يبدو، الآن منزعجاً بسبب ذلك الشجار بينهما، فهو رجل يفضل أن يبقي أحاسيسه وانفعالاته تحت السيطرة، إلا أن فكرة الزواج منها، كما يبدو تملك من القوة ما يجعله ينسى ذلك الهدوء الطبيعي الذي يمارسه دائماً.

نظرت إلى المحامي بالتماس قائلة: «لابد من وجود طريقة للخروج من هذا المأزق».

ابتسم الرجل وقال: «أخشى القول إن لا سبيل لذلك، آنسة بنيتو.

www.rewity.com Rewity

كتبت وصية غريشام بنفسي، ويمكنني أن أؤكد لك أن ليس هناك أي ثغرة».

قاطعه طوبي بسخرية: «ألا يمكن دس مئتي دولار في الدرج للمساعدة على ذلك؟».

من الواضح أنه يستمتع بهذا الوضع. في الواقع، هذا أمر طبيعي. أكثر ما يستمتع به طوبي، هو الخلاف وعدم الانسجام، لاسيما عندما يكون هو نفسه سبب الخلاف. تماماً كما حدث منذ ثلاثة أشهر.

لهذا السبب بالذات فإن فكرة عودة تلك الأموال إلى طوبي ليس لها أي معنى منطقي، فقد غضب جيمس بشكل لا يصدق من ابن أخته قبل موته، ولم يعد يسمح له بزيارة المنزل، بعد أن حاول الاعتداء على غابرييلا.

لا شك أنه لا يريد أن يرث طوبي شركة غريشام والمال والممتلكات. لماذا إذاً وضع جيمس مثل هذا الشرط الصارم في وصيته؟ لابد أنه علم بدون أي شك أن روفوس وغابرييلا لن يسمحا لطوبي بأن يرث شركة غريشام أو المال أو الممتلكات، لكنه علم أيضاً أن روفوس وغابرييلا لا يحبان بعضهما.

سألها روفوس بنبرة ساخرة: «ما الأمر، غابرييلا؟ ألم يعد الزواج مني جزءاً من مخططاتك؟».

لم يكن ذلك يوماً مخططاً في حياتها. أغرمت به غابرييلا منذ ست سنوات، وأحبته بجنون. اعتقدت أن لقاءهما معاً ذلك اليوم في ماجوركا يعني أنه يحبها أيضاً. وكان ذلك أملاً عقيماً، كما أكد لها روفوس بقسوة ومرارة.

رفعت ذقنها، وأجابت بتحدٍ: «حماسي للزواج بك هو مثل حماسك تماماً».

علق روفوس بسخرية: «إذاً، لا أمل بذلك على الإطلاق».

- بالتأكيد!

قال طوبي: «أليس ما يجري أمامنا ممتع؟ بالطبع، بإمكانكما إنقاذ نفسيكما من معاناة محاولة العيش معاً، وهو أمر محكوم عليه بالفشل قبل أن يبدأ، كما هو واضح، لذا قدّما تلك الثروة الرائعة لي منذ الآن».

- أمام الآنسة بنيتو والسيد غريشام مدة أسبوع كامل ليصلا إلى قرار.

قال دايفيد بروستر ذلك بحزم قبل أن يتمكن أي من غابرييلا أو روفوس من الرد عليه.

هزّ طوبي رأسه، من دون أن يشعر بأي خجل أو ضيق. ابتسم بفرح وهو يقول: «آه! أعتقد أنه يمكنني أن أنتظر أسبوعاً».

قال المحامي متجاهلاً أي تعليق يصدر عن طوبي: «هناك شرط آخر في وصية السيد غريشام، أعتقد أنه يجدر بي أن أوضحه لكما قبل أن تتخذا أي قرار».

تمتم روفوس بضيق: «لنسمع ذلك الشرط».

- شركة غريشام بمبنييها ستصبح، في نهاية الأشهر الستة المذكورة ملكاً خاصاً لابني روفوس جيمس غريشام، لكن المطعم في مبنى الشركة في لندن يجب تجديده وفتحه للجمهور كملكية خاصة لغابرييلا ماريا لوسيا بنيتو، على أن يطلق عليه اسم غابرييلا غريشام.

زفر روفوس بقوة، قبل أن يقول: «بكلمات أخرى، والدي لا يتوقع مني فقط الزواج من غابرييلا والعيش معها لستة أشهر، إنه يتوقع مني أن أعمل معها، أيضاً!».

صمّم ألاّ يستسلم لذلك الغضب القاهر المسيطر عليه، مع أنه يشعر بعصب ينبض في فكه من شدة ضيقه. أكد له دايفيد بروستر بحزن: «ما تقوله صحيح».

علقت غابرييلا بضيق وتوتر: «هل يمكنني أن أذكرك أنه يتوقع مني

أن أعيش معك، وأعمل معك أيضاً؟».

هي لم تتوقع هذا الشرط في وصية والده أيضاً. من المحتمل أنها توقعت أن تأخذ حصتها وترحل. لاحظ روفوس ذلك بسخرية. من المؤكد أنه لاحظ ردة فعلها اللاإرادية عندما ذُكرت الأموال المستحقة للدفع. بالتأكيد لم يكن والده غبياً لدرجة أن يقرض المال لغابرييلا وهو يعلم مسبقاً أنها لن تعيده إليه مطلقاً. نظر إليها ببرودة بعينيه الخضراوين، غير متأثر مطلقاً بشحوب وجهها. قال: «أنا منذ الآن أدير شركة غريشام، وأملك منزلي الخاص، ولدي ثروة خاصة بي. من سيجني ثروة من هذه الوصية، برأيك؟».

علق طوبي على الفور بهدوء: «أرأيتما؟ ليس هناك من أمل لكما في العيش معاً لمدة ستة أشهر من دون أن تتقاتلا، وهذا يعني أنني أنا من سيرث كل شيء في النهاية».

قال له المحامي، بعد أن وصل إلى آخر حدود الصبر معه: «أنا حقاً أرى أن هذه التعليقات لا تساعد مطلقاً في تسوية الأوضاع».

تابع قائلاً بنبرة جدية: «أقترح أن نلتقي هنا بعد أسبوع. في ذلك الوقت، آنسة بنيتو وسيد غريشام بامكانكما إعطائي الجواب».

أضاف بضيق: «حضورك لا داعي له في ذلك الوقت، سيد رييد.».

سأل روفوس بضيق: «هل من شيء آخر في وصية والدي... شروط أو بنود مخبأة أو أي أمر آخر يجب أن نعرفه، قبل أن نصل إلى قرار ما؟».

حدق دايفيد بروستر به بدون أن يرف له جفن. للحظة بدا متردداً قليلاً قبل أن يجيبه: «لا! أؤكد أن ليس هناك أي شيء آخر في وصية السيد غريشام قد يثير اهتمامكما».

اقترح طوبي بمرح: «ما رأيكما أن نذهب نحن الثلاثة لتناول الغداء معاً، والتحدث بأمر الوصية؟».

فكرت غابرييلا أن أي طعام قد تحاول تناوله الآن سيخنقها. مجرد التفكير بتناول الطعام مع طوبي، الرجل الذي تكرهه بشكل مطلق بعد محاولته الاعتداء عليها، يجعلها تشعر بالغثيان.

- لا أعتقد ذلك.

روفوس هو من أجابه بحدة وضيق.

تفاجأت غابرييلا عندما أمسك ذراعها بقبضته الحديدية، وهو يتابع: «من الواضح أنني وغابرييلا نحتاج إلى مناقشة بعض الأمور. كما قال دايفيد، دورك بمجريات الأمور الآن قد انتهى، طوبي».

رفعت غابرييلا نظرها إليه وهي مقطبة الجبين. إنها لا تريد الذهاب إلى أي مكان مع روفوس أيضاً، لكن أصابعه تطبق بقوة على ذراعها.

رفعت ذقنها بتصميم وهي تحاول أن تخلص ذراعها من قبضة يده القوية، لكنها فشلت. هذا الأمر دفع طوبي لأن يبتسم لها بمرح، ويقول: «دعوني فقط أعلم متى تقرران عدم الزواج، اتفقنا؟».

الزواج! راحت أصداء الكلمة تتردد في رأس غابرييلا، وفي رأس روفوس...

مجرد وضع الكلمتين معاً: «الزواج» و «روفوس» كافٍ لجعل جسمها يرتجف من الإنذار والقلق.

في السابق كانت لتشعر بفرح لا يوصف لمجرد التفكير بأنها ستصبح زوجة روفوس. كان ذلك قبل أن تتعلم كيف تكرهه، وقبل أن تعلم كم يكرهها.

طوبي على حق. هي وروفوس لا يملكان أي فرصة للنجاح في العيش معاً كزوج وزوجة لمدة ستة أشهر.

٢ - ابتعدي عن ابنتي

شعر روفوس بالمجهود الذي تبذله غابرييلا لتبعد يده عن ذراعها، ما إن غادروا مكتب دايفيد بروستر. لكن مهما فعلت، فلا نية لديه بأن يجعلها تنجح في تحقيق ما تريده. إنهما بحاجة إلى التحدث معاً اليوم... بل الآن. قال للرجل الآخر بضيق ما إن أصبحوا جميعاً في الشارع: «وداعاً، طوبي!».

أجابه ابن عمته مغيظاً:

- لا تتصل بنا، نحن سنتصل بك.

ظهر الضيق على وجه روفوس، فهو وطوبي لم يكونا يوماً مقربين، أما جيمس فكان يتحمله بصبر لأنه ابن أخته الوحيدة، لكن صبره انتهى فجأة لسبب ما منذ ثلاثة أشهر.

نصحه باستياء: «لا تتوقع ذلك أبداً».

ضحك طوبي، ثم قال: «آه! لا أهتم لما تقوله أنت أو بروستر. في الواقع لا يهمني ذلك أبداً، فالنتيجة بالنسبة لي هي ذاتها».

ابتسم بثقة، وهو يرفع كتفيه باستخفاف. شعرت غابرييلا بحاجة ماسة لتعلق قائلة: «هل فكرت للحظة، طوبي، أنني وروفوس نكرهك أكثر من كرهنا لبعضنا البعض؟».

بدا طوبي مفكراً للحظة، قبل أن تلمع عيناه الزرقاوان، ويجيب أخيراً بابتسامة ساخرة: «لا».

ابتسامة رغبت غابرييلا بقوة أن تزيلها عن وجهه الوسيم، فكرهها

لهذا الرجل لا حدود له. قالت: «لو كنت مكانك لبدأت بالتفكير في هذا الأمر».

رفع كتفيه قبل أن يجيب: «حتى لو حاولتما إتمام هذا الزواج المزيف، فإنه لن يدوم مطلقاً. لا أعتقد أن لديكما القدرة على تمضية ست ساعات معاً في المنزل نفسه، فما بالك بستة أشهر؟».

في الواقع إنه على حق، وهذا ما زاد من غضبها. قالت وعيناها تلمعان: «قد تتفاجأ مما سيحصل».

- بطريقة ما، أشك في ذلك.

تابع منصرفاً: «إلى اللقاء إذاً روفوس، وعزيزتي غابرييلا».

أضاف ذلك عمداً، قبل أن يستدير ويبتعد بين الحشد على الطريق.

علق روفوس وهو يحدق بها مفكراً: «لطالما كان لدي انطباع بأنك وطوبي معجبان ببعضكما».

رفعت غابرييلا نظرها إليه. قالت له، وهي تسدل جفونها كي تخفي ما تفكر به: «يمكن للانطباعات أحياناً أن تكون خادعة».

لوى شفتيه بسخرية قائلاً: «أصحيح أنك تكرهين طوبي أكثر مما تكرهينني؟».

أكدت له بسرعة: «أجل، صحيح».

لم يكن هذا ما يظنه روفوس. لطالما ظهرت غابرييلا برفقة طوبي في الاجتماعات العائلية. ما الذي حدث وبدل ذلك التفاهم القديم؟ هل للأمر علاقة بمنع والده طوبي من زيارة المنزل في الأشهر الثلاثة الأخيرة؟

قال لغابرييلا بتجهم: «نحن بحاجة إلى التكلم. سيارتي متوقفة هناك».

اعترضت على الفور: «لن أذهب إلى أي مكان معك».

تراجعت خطوة إلى الوراء، فأجبرت روفوس على إطلاق سراحها.

قطب روفوس جبينه قائلاً: «أتعلمين غابرييلا؟ طوبي على حق. إذا تابعنا على هذا المنوال، من الأفضل أن نسلّم كل شيء له منذ الآن!».

اتسعت عينا غابرييلا. لا يعقل أن يفكر جدياً... أليس كذلك؟ هل يفكر حقاً بالزواج بها؟ اعترفت بحزن، فقط إن كان هناك مسدس موجه إلى رأسه، وهذا تقريباً ما فعله جيمس به، حتى بعد موته! علق روفوس بغضب ما إن رأى ابتسامتها: «هل قلت ما يسليك، غابرييلا؟».

لا! فلحظة المرح انتهت، وفي الحقيقة هي من سيدفع ثمن هذا المرح. تنهدت وأجابت: «لا، لكنني لا أرى أن ذهابنا إلى أي مكان للتحدث سيشكل أي فرق».

أجاب روفوس بنبرة مليئة بالثقة والتحدي: «هذا يعتمد على الطريقة التي نتكلم بها؟».

ضاقت نظرة عينيها وهي تحدق به. السنوات الخمس الأخيرة جعلت منه شخصاً أقسى وأكثر سخرية. الخطوط الدقيقة حول فمه وعينيه تبرز مدى سخريته. شعره الأشقر بدا أقصر مما كان عليه في السابق، كما أن جسده أكثر نحولاً، لكن روفوس يبقى الرجل الأكثر وسامة بين من قابلتهم في حياتها كلها. إنه مثير جداً للأعصاب. ما تشعر به من لمسة يده على ذراعها كاف لقول ذلك، فانجذابها إليه كما يبدو لم ينقص عبر السنين كما اعتقدت.

حدق روفوس بنظرتها المندهشة، مدركاً أنه لم ينسى ما حصل منذ خمس سنوات، والاحساس الذي شعر به ما إن لامست يداها الناعمتان بشرته. أما هو فما إن وضع يديه عليها حتى شعر بالضياع ولم يعد قادراً على التوقف. راقبها وهو يشعر بالشوق إلى المزيد. لكنه أنكر هذا الشوق على نفسه، لأنه علم أنه لا يستطيع، ولا يجرؤ أن يضيع معها، وأنه إن فعل ذلك سيدخل نفقاً من الجنون لن يكون قادراً مطلقاً على الانسحاب منه. والآن هو يعلم أيضاً أن كل ذرة فيه تشتاق إلى جمال

غابرييلا، وأن هناك جزءاً منه بقي يتوق إليها منذ ذلك الوقت.

حدقت غابرييلا به بغضب، وقالت تتهمه: «إن كنت تقترح ما أظنه، فأدعوك منذ الآن أن تنسى الأمر بشكل نهائي».

بالرغم من كلامها الواثق تورد خداها. تساءل روفوس، أحدث ذلك بسبب الغضب، أم بسبب أمر آخر مختلف تماماً؟

علق بسخرية: «أمر مؤسف! لابد أننا نستطيع على الأقل أن نتحدث عن الأوقات الماضية».

أكدت له بتصميم وحزم: «ليس هناك أي أوقات ماضية بيننا لنتحدث عنها».

ابتسم بسخرية قائلاً: «أحقاً؟ على أي حال، نحن نريد التحدث عن المستقبل. إننا بحاجة إلى القيام بذلك».

أضاف بحزم: «ربما نصل إلى نوع من التسوية أو إلى حل وسط يرضينا معاً».

التسوية لم تكن يوماً الكلمة التي يمكنه استخدامها ما إن يفكر بغابرييلا. فمعها، إما كل شيء أو لا شيء على الإطلاق. وهو حتى اليوم اختار بتصميم وكره اللاشيء! لماذا أقدم والده على صياغة هذا الشرط؟ ما الذي أمله من إجبارهما على العيش معاً كزوج وزوجة لمدة ستة أشهر؟ آه! والده ليس هنا ليجيب عن تلك الأسئلة، وهذا يعني أن ليس هناك أحد غيرهما، لذا عليهما أن يجدا الأجوبة بنفسيهما.

كررت غابرييلا باستياء: «التسوية؟».

من الواضح أنها لم تفكر باستعمال تلك الكلمة بشأنه من قبل أيضاً، لكن هذا ما عليهما القيام به إن لم يرغبا بخسارة كل شيء. لا يصدق روفوس أن غابرييلا راغبة بخسارة خمسة وعشرين مليون جنيه فقط لأنها لا ترغب في الزواج به. يمكنها العيش معه لمدة ستة أشهر من أجل الحصول على تلك الثروة!

– أعتقد أن عليك المجيء معي إلى شركة غريشام غابرييلا، فلا رغبة لدي مطلقاً في متابعة هذا الحديث في الشارع العام.

قطبت غابرييلا جبينها، شركة غريشام؟! لماذا يريد روفوس أن يأخذها إلى هناك؟ لم تذهب إلى ذلك المبنى منذ سنوات، أي قبل أن تنتقل للعيش في فرنسا، فهي تدرك أن مكتب روفوس يقع في الطابق السادس، وهو قد يدخل إلى أي متجر في الطوابق الأخرى في أي لحظة. لم ترغب في المخاطرة بأن تقابله ولو عن طريق الصدفة. قال من بين أسنانه: «أريدك أن تري شيئاً ما».

ردت غابرييلا بنبرة ملؤها الشك: «أحقاً؟».

هز روفوس رأسه، وأجاب: «وأعتقد أنك ستتأثرين بما سترينه».

ضاقت نظرتها، وأجابت بضيق: «لا أظن أن شيئاً قد يساعدك على التأثير بي».

رفع روفوس حاجبيه بسخرية، وسألها: «أحقاً؟ ليس هذا ما أتذكره من لقائنا الأخير».

لم تعتقد أن روفوس ما زال يتذكر ماحصل بينهما في ماجوركا، فهي تعلم من خلال القلق الذي كان يبديه جيمس عبر السنين، أن روفوس تورط في علاقات عاطفية مع عدد من النساء منذ طلاقه، لكنها اعتقدت أن لقاءه القصير مع فتاة مفتونة به في الثامنة عشرة من عمرها أمر منسي تماماً بالنسبة له.

ابتسمت له غابرييلا ابتسامة حلوة كالسكر وهي تقول: «هذه تسمى ذاكرة انتقائية!».

أجاب بسخرية: «ربما. لكن من منا هو الانتقائي؟».

هي تعلم أنها لا تستطيع أن تدخل في مواجهة كلامية مع روفوس، فهو ساخر جداً وصاحب سيطرة لا تقاوم، وهي لن تتمكن مطلقاً من التغلب عليه.

تنهد روفوس بفقدان صبر. هذا الشجار مع غابرييلا لن يؤدي إلاّ إلى مضاعفة إحساسه بها، وهذا أمر بإمكانه الاستغناء عنه في هذه اللحظة. قال على الفور: «في الواقع، فكرت أنك قد ترغبين في إلقاء نظرة على ما سيصبح عليه مطعم غابرييلا».

مجرد التفكير أن غابرييلا ستعمل في المطعم على بعد طابقين من مكتبه الخاص، لا يؤمن له بيئة سليمة لعمل هادئ ومثمر.

اتسعت عيناها وهي تقول: «أنت لا تفكر بالفعل في الرضوخ لشرط الزواج في وصية والدك!».

أجاب روفوس باستياء: «ألا تفعلين ذلك أنت أيضاً؟».

لم تقاومه غابرييلا هذه المرة عندما وضع يده على ذراعها، لكي يجتازا الشارع ليصلا حيث أوقف سيارته. بدا روفوس متأكداً أن لا مجال لأن تتخلى عن فرصة وضع يديها على خمسة وعشرين مليون جنيه. لربما تطمح في إبرام اتفاق خاص معه، لذا تقوم بدور المرأة الصعبة المنال، فهي تعرف أن المال لا يهمه في هذه الوصية.

لوى شفتيه بضيق وهو يضغط على مفتاح سيارته المرسيدس ليفتحها. تعمد ألاّ يلمس غابرييلا وهو يستدير حول السيارة ويصعد وراء المقود. جلست غابرييلا في السيارة بجانب روفوس، وساد الصمت بينهما وهو يتجه نحو شركة غريشام.

الزواج من روفوس هو آخر أمر تريده في حياتها، لكن البديل عن ذلك هو أن يرث طوبي كل شيء، بما في ذلك استيفاء دينها البالغ ثلاثين ألف جنيه. إنها لا تستطيع تسديد هذا الدين في وقت قريب، وطوبي شخص أناني، من المحتمل أن يطلب منها تسديده فوراً، وربما بطريقة غير لائقة بالنسبة لها أكثر من الزواج من روفوس.

قال روفوس راغباً في مضايقتها: «هل تفكرين بالأمر ملياً؟».

لا شك أن الزواج من روفوس يعني أنها ستعيش كابوساً مخيفاً.

تعلم غابرييلا أنه سيستغل كل فرصة يستطيع الحصول عليها ليجعل حياتها بائسة، ومن الطبيعي أن يفترض أن موافقتها تعني رغبتها في أن ترث نصف الثروة التي تبلغ خمسين مليون جنيه، لكن الخيار الآخر هو أن تصبح مدينة لطوبي.

اعترفت بصوت مضطرب: «أنا... أفكر بالأمر».

علق روفوس بمرارة: «علمت أنك ستفعلين».

أجابت بسرعة وبفقدان صبر: «ليس بسبب ما تفكر به».

رفع حاجبيه الأشقرين الداكنين متسائلاً: «أحقاً؟».

لم تزعج غابرييلا نفسها بمحاولة الرد عليه والدفاع عن نفسها، فما الغاية من ذلك؟ يستمتع روفوس بالاعتقاد أنها امرأة سيئة، فلماذا تتكبد عناء تغيير رأيه، حتى لو كانت قادرة على القيام بذلك؟

ما إن دخلا متاجر غريشام، حتى أسرع الحاجب المرتدي ثياباً سوداء ليفتح لهما الباب. دخلت المتجر الكبير، فطالعتها الروائح العطرية المثيرة والألوان المختلفة. ما تراه هو وليمة للحواس، مع مئات من الزبائن الذين تتم خدمتهم بمهارة وترحاب من قبل عشرات الموظفين.

لمعت عينا غابرييلا من السعادة ما إن سارت مع روفوس عبر المتجر لتصل إلى المصعد الخاص. لدقائق قليلة، لم تفكر إلا في احتمالات فتح مطعم لها في هذا المتجر الفاخر، ونسيت تماماً سبب تواجدها هنا مع روفوس.

علقت بدون أي حماس أو اهتمام: «لست بحاجة إليّ لأقول لك إن هذا المتجر رائع، أو كم أنت ماهر في إدارته».

نظر روفوس إليها متأملاً، ثم تمتم بحيرة: «لطالما أدهشني اختيارك لنوع عملك».

تصلب جسمها على الفور، وسألته: «لماذا؟».

رفع كتفيه العريضتين وقال: «إن مطعماً في شركة غريشام سيفتح أبوابه في الوقت نفسه كالمتجر، لكن ساعات العمل في المطعم تتطلب المزيد من الجهد».

حدقت غابرييلا به بتحدٍ، وسألته: «ما قصدك بالتحديد؟».

قصده يبدو واضحاً؛ عمل كهذا بحاجة إلى جهد كبير، لاسيما من امرأة تتطلع للحصول على زوج ثري! أتراها اعتقدت أن الطريق إلى قلب الرجل يمر عبر معدته؟ كان بإمكانه أن يخبرها منذ سنوات أن هناك أموراً أخرى تتحكم بخيارات الرجل. مهما يكن، إن وافقا على بنود الوصية، فبعد ستة أشهر لن تكون غابرييلا بحاجة إلى زوج، سواء كان ثرياً أم فقيراً.

رفع روفوس كتفيه ليتخلص من تلك الأفكار، وقال باستياء: «عليكِ أن تطبخي لي وجبة ما في أي وقت تريدين».

نظرت غابرييلا إليه بفقدان صبر، وعلقت: «إنك تخاطر في طلبك هذا، فقد أشعر بالإغراء لأضيف الزرنيخ إليها».

أكد لها ما إن خرجا من المصعد إلى الطابق الرابع: «آه! سأجعلك تأكلين منها أولاً».

لم تستطع غابرييلا إلا أن تضحك باندفاع عفوي، فالتمعت عيناها البنفسجيتان، وبدت أسنانها البيضاء الجميلة في فمها الجذاب.

وجد روفوس نفسه منذهلاً بتلك الابتسامة، فحدق إليها بعينين جائعتين. جمدت الضحكة على وجه غابرييلا ما إن رأته ينظر إليها. بدا كأنه يرغب في التهامها هي وليس الطعام.

آه! لا بد أنها مخطئة. هذا ما قررته ما إن عادت السخرية تغلف وجهه، وعادت عيناه ترمقانها بنظرة تقييمية وهو ينظر إليها بتحدٍ.

- روفوس، ماذا...؟

توقفت عن الكلام ما إن أدركت إلى أين أحضرها. اتسعت عيناها،

وتسارعت دقات قلبها وهي تنظر حولها بحماس وشوق. إنهما في المطعم الواسع في الطابق الرابع. مطعم سيصبح لها بالكامل، إن وافقت على الزواج بروفوس، وسيبقى لها ما إن ينتهي هذا الزواج.

يقع المطعم في واجهة المتجر، محتلاً نصف الطابق الرابع. إنه مستقل تماماً عن قسم الكتب والمجلات الذي يشغل ما تبقى من الطابق. في الوقت الراهن هو لا يبدو أكثر من مقهى، لكن الاحتمالات بأن يصبح مطعماً لتناول الغداء الفاخر ومكاناً مميزاً لتناول القهوة عند الصباح والشاي بعد الظهر لا حصر لها.

بدأت غابرييلا بتخيل التبديلات التي ستقوم بها بشأن الديكور، كالتخلص من بعض الطاولات والكراسي العادية واستبدالها بأخرى جديدة ومريحة أكثر. سيصبح المطعم مكاناً للاستراحة والتمتع بغداء شهي تعده غابرييلا من أصناف طازجة وصحية... هذا ما سوف يحدث إن وافقت على الزواج بروفوس.

قال روفوس بضيق، وهو يمسك ذراعها بقبضة حديدية من جديد: «لنصعد إلى مكتبي، كي نتحدث بهذا الأمر، غابرييلا».

غابرييلا معتادة على المكاتب الفاخرة في الطابق السادس، لاسيما مكتب المدير الإداري. إنه مكتب مترف جداً، فقد زارت أمها هناك في مناسبات عدة حين كانت تعمل سكرتيرة لجيمس. يا إلهي! تلك الفترة مرت منذ زمن طويل... في الواقع، رحلت أمها ورحل جيمس، ولم يبقَ غير روفوس ليعذبها...

السكرتيرة الجالسة وراء المكتب في قاعة الاستقبال الخارجية هي امرأة شقراء، طويلة القامة. ابتسمت المرأة بحرارة لروفوس ما إن دخلا الغرفة، فرمقته غابرييلا بنظرة متفحصة.

ضغط روفوس بقوة على ذراعها مسبباً لها الألم، وهو يجرها إلى المكتب الداخلي. أغلق الباب بحزم وراءهما، وقال لها ببرودة: «لن

أرتكب مطلقاً الخطأ الذي ارتكبه والدي».

تركها فجأة، ما جعلها تفقد توازنها. علمت غابرييلا ماذا يقصد. لن يقع في غرام سكرتيرته، وهو بدون أي شك لن يتزوج منها.

قالت بعد أن نفد صبرها بسبب حقده: «كانا سعيدين معاً، روفوس. ألم ترَ ذلك؟ ألم تشعر بسعادتهما عندما كنت معهما؟».

آه، بالطبع! رأى روفوس سعادة والده مع هيثر، وعلم أن خسارتها قتلته، لكنه يعتقد أيضاً أن والده كان أعمى من شدة الحب، أما هيثر... هو لم يسمح لنفسه مطلقاً بأن يتقرب بما فيه الكفاية منها ليسمع وجهة نظرها من القصة، ويعرف إن كانت صادقة في حبها له أم لا. حاولت هيثر التقرب منه عبر السنين، لكن روفوس قاوم بشكل مطلق أي مبادرة صداقة من قبلها. بالرغم من ابتعاد غابرييلا إلى فرنسا، ظلت هيثر وغابرييلا مقربتين جداً من بعضهما، وهذا يعني أن تقربه من هيثر سيجعله قريباً من غابرييلا أيضاً، وهذا أمر لا نية لديه مطلقاً بالقيام به.

أما الآن فها هو مجبر على الزواج من غابرييلا إن أراد الاحتفاظ بشركة غريشام، لكن هذا لا يعني أنه معجب بالأمر. قال على نحو مفاجئ: «هل عملت بنصيحتي؟».

قطبت غابرييلا جبينها، فهذا التبدل المفاجئ للموضوع جعلها تشعر بالحيرة. لم تدرِ عن أي نصيحة يتكلم. لوى روفوس شفتيه بسخرية وهو يوضح لها: «هل سألت أمك، لماذا كانت بحاجة إلى مئة ألف جنيه؟».

أجفلت غابرييلا. علمت أنه تعمد القيام بذلك كي يسبب لها الأذى. رفعت ذقنها بتحدٍ، وقالت: «بالطبع!».

سألها روفوس بفقدان صبر: «وماذا علمت؟».

وعدت غابرييلا والدتها أنها لن تخبر أحداً بذلك. بالطبع عرف جيمس بالأمر، لأن هيثر أخبرته أن زوجها الأول كان مقامراً، وأن

الديون التي تركها وراءه بقيت ملقاة على عاتقها وعاتق ابنتها، لكن هيثر أرادت أن تترك هذا الأمر المتعلق بعائلة بنيتو في خزانة مغلقة، فهو ينتمي إلى الماضي فقط.

قالت غابرييلا بنبرة قاسية:

- علمت أن هذا الأمر لا يعنيك مطلقاً.

تقبل روفوس الأمر بسخرية، فقال: «أنت على حق، لكن ما هو المبلغ الذي تدينين به لوالدي، غابرييلا؟ أهو أكثر أم أقل من المبلغ الذي أعطاه لوالدتك؟».

شعرت غابرييلا باللون يختفي من وجهها. لابد أن روفوس لاحظ ردة فعلها اللاإرادية في مكتب دايفيد بروستر، وربط ذلك التصرف بوصية والده، لكنه فشل في معرفة سبب ذلك. كان عليها أن تدرك أنه سرعان ما سيعرف، فروفوس ذكي جداً ولن يفشل في معرفة سبب تأوهها وإحساسها بخيبة الأمل.

تنهدت وهي تعلم أن لا جدوى من المراوغة. كل ما على روفوس القيام به هو الاتصال بدايفيد بروستر ليسأله ذلك السؤال، عندها سيقدم له المحامي العقد الذي وقعته غابرييلا مع جيمس منذ سنة مضت.

- أقل... أقل بكثير.

نظر روفوس إليها من بين جفونه التي ضاقت فوق عينيه. حتى تلك اللحظة تمنى روفوس فعلاً أن يكون قد أخطأ في ما اعتقده تأوه خوف وخيبة أمل، فذلك يعني على الأقل أن غابرييلا لم تستغل والده كما فعلت والدتها. آه! كان عليه أن يعلم أن ذلك أمر مستبعد جداً.

قال بنبرة مليئة بالكراهية والانزعاج: «وهل ستخبرينني بالتحديد لماذا تكرهين طوبي أكثر من كرهك لي؟».

لا، لن تفعل!

جيمس عرف بتصرف طوبي المشين حيالها، وحقيقة أنه بدّل وصيته

منذ شهرين فقط قبل وفاته توضح وجهة نظره بشأن ما حدث، لكن هذا لا يعني أن على روفوس أن يعلم بالأمر أيضاً، فرأي روفوس بها ينبئها أنه سيعتقد أنها تعمدت تشجيع طوبي وإثارة انتباهه. بدلاً من ذلك قالت: «هذا أمر يصعب تصديقه. أليس كذلك، روفوس؟».

ابتسم روفوس ابتسامة تخلو من المرح، وأجاب: «من الصعب تصديق ذلك، تماماً كما يصعب التصديق أن اهتمامك بأبي وبي لا علاقة له مطلقاً بالمال».

هزت غابرييلا رأسها بحزن قائلة: «لن ينجح هذا مطلقاً. أليس كذلك؟».

قاطعها روفوس بحزم:

- على العكس تماماً.

استدار ليجلس خلف مكتبه. إن لم يفعل فهو قد يمد يديه ويخنقها.

- سيكون على الأقل زواجاً قصير الأمد، وليس مبنياً على أي أوهام مهما كانت سخيفة.

أجابت على الفور مدافعة عن نفسها: «ينطبق الأمر علينا معاً».

هز روفوس رأسه بوقار، واعترف بحزم: «أجل».

تساءلت غابرييلا والألم ينمو في داخلها، هل هما قادران حقاً على القيام بذلك؟

قالت ببطء وهدوء:

- ماذا بشأن هولي؟

عبس روفوس على الفور، وأجاب:

- ماذا بشأنها؟

ابتسمت غابرييلا قبل أن تجيب: «أتعتقد أنها ستحب فكرة العيش مع زوجة أب حتى لستة أشهر؟».

حذرها روفوس بنبرة حادة:

- ابقي بعيدة عن ابنتي، غابرييلا!

اتسعت عينا غابرييلا، وسألته: «وماذا يجب أن أفعل بالتحديد إن كنا سنعيش معاً في منزل غريشام؟».

قال ينصحها بنبرة قاسية: «أقترح عليك أن تجدي طريقة ما. كلما كان اتصال هولي بامرأة جشعة لا تفكر إلا بالحصول على المال أقل، كلما كان ذلك أفضل».

إنه الآن لا يحاول فقط أن يسبب لها الأذى، بل يرغب في أن يجعلها تنزف، بقوله إنها غير مناسبة لصحبة ابنته.

قالت غابرييلا على الفور:

- ستندم على ذلك، روفوس!

أكد لها باستياء: «أشعر بالندم منذ الآن، لكنني متأكد أنك توافقينني الرأي. في النهاية، لا أحد منا لديه خيار آخر سوى الدخول في هذا الزواج المزيف».

هو لا رغبة لديه بخسارة شركة غريشام، أما هي فلن تسمح لنفسها مطلقاً أن تصبح مدينة مادياً لرجل مثل طوبي.

قال بسخط:

- فقط، قولي نعم أم لا لهذا الزواج، غابرييلا!

شعرت غابرييلا كأنها أرنب مسمر في مكانه احتُجز تحت أضواء سيارة قادمة. تنهدت وهي ترتجف. أخيراً قالت: «أجل. كلانا نعلم أن جوابي هو نعم».

ستة أشهر عليها أن تعيشها معه! بالطبع، تستطيع تحمل ذلك...

هز روفوس رأسه بشكل مفاجئ، ثم قال متعمداً إهانتها: «تماماً كما هو جوابي، مع أنني أريد أن أوضح لك أن الزواج بك هو آخر أمر أريد القيام به بالفعل!».

لمعت عيناها من شدة الغضب، وأجابت:

- وهذا آخر أمر أريد القيام به أيضاً!

قال بحزم وهو يهز رأسه: «ما دمنا ندرك ذلك، فإن كنت لا تمانعين، أحدنا لديه عمل عليه القيام به».

هي أيضاً لديها عمل عليها القيام به. عليها أن تصل إلى المطعم الذي تعمل فيه حالياً عند الساعة السادسة. بالطبع هي لن تستمر بالعمل هناك بعد أن تتزوج روفوس، لأنها ستنشغل كثيراً خلال الأسابيع القليلة القادمة في التحضير لافتتاح مطعمها الخاص في الطابق الرابع.

في الواقع، هذا ما يعطيها بعض العزاء بشأن ما ستقدم عليه. هو ليس بالعزاء العظيم الكافي، لكنه سيقدم لها شيئاً ما لتركز عليه وتهتم به بدلاً من التفكير بأمر زواجها من روفوس.

وكأنها حقاً ستكون قادرة على التفكير بأي شيء آخر.

www.rewity.com Breathless

٣ - احتفال خاص جداً

لم يحضر سوى أربعة أشخاص مراسم زواج غابرييلا وروفوس بعد عشرة أيام من قراءة الوصية. بالإضافة إلى روفوس وغابرييلا كان هناك دايفيد بروستر وسكرتيرته المهذبة المبتسمة، ليشهدا على الزواج.

انتهت المراسم بسرعة قصوى، حتى إن غابرييلا لم تكن متأكدة أنها تزوجت بالفعل من روفوس. شعرت بالانبهار قليلاً ما إن أذعن روفوس لدعوة معانقة العروس.

لم تكن يوماً بهذا القرب من روفوس منذ ذلك اليوم، قبل خمس سنوات. شعرت بالضياع في اللحظة التي أطبقت ذراعاه عليها وعانقها. لم يكن ذلك عناقاً رقيقاً كما توقعت.

تعمد روفوس معانقتها بقوة حبست أنفاسها. لمعت عيناه بجرأة ما إن رفع رأسه أخيراً. بدا غير متأثر مطلقاً بما جرى، في حين أن غابرييلا شعرت أن كل عصب في جسمها رقص، وكان ذلك كافياً كي تقابل تحديه بنظرة باردة كالثلج.

قال دايفيد بروستر بتوتر وخجل: «حسناً! ربما حان الوقت لنغادر».

هذا صحيح! اعترف روفوس، وهو يشعر بدقات قلبه تتسارع في صدره، وبجسده ينبض بتوتر. تباً! عانق غابرييلا فقط كي يرى ما الذي سيحدث. مجرد تجربة ليرى إن كانت ما تزال تؤثر به. أما الجواب فهو نعم، وبصوت لا لبس فيه.

ظهر الضيق على ملامح وجهه، وضاقت عيناه وهو يحدق بها، قبل

أن يستدير لمواجهة المحامي. قال: «أريد أن أشكرك أنت وسيليا على قدومكما معنا اليوم».

ما إن وصلوا إلى قاعة الاستقبال في مكتب أمين السجلات، حيث تم عقد قران غابرييلا وروفوس، اقترح دايفيد بروستر: «ربما أستطيع أن أصطحبكما إلى الغداء للاحتفال».

رفض روفوس الدعوة باسمهما معاً قائلاً: «أخشى القول إنه لا يمكننا ذلك. علي العودة إلى عملي. وأنا متأكد أن غابرييلا منشغلة بنقل ما تبقى من أغراضها إلى منزل غريشام».

علمت غابرييلا أن التحدث عن نقل ما تبقى من أغراضها إلى منزل غريشام ما هو إلا هجوم مباشر عليها، فقد وجدت أن لا سبب يدفعها للمحافظة على شقتها المستأجرة، في حين أنها لن تعود إليها بعد نهاية الأشهر الستة، لذا أبلغت المالك بذلك، ونقلت بعض أغراضها إلى منزل غريشام، أما البقية فوضعتها في مخزن إلى أن تحتاج إليها من جديد. لماذا تشعر إذاً بالانزعاج لأن روفوس يتصرف وكأن زواجهما مجرد عقد عمل تم إنجازه؟

ما إن أصبحا في الخارج، حتى وجدا حاجزاً من آلات التصوير تسطع أنوارها في وجهيهما، وسرعان ما انهمرت الأسئلة عليهما. قال روفوس غاضباً: «ماهذا؟».

ودع دايفيد بروستر وسكرتيرته بسرعة، وقبض على ذراع غابرييلا بقوة، ما إن تقدم نحوهما المصورون والصحافيون.

شدّ غابرييلا نحوه وهو يسير إلى حيث أوقف سيارته، متجاهلاً بشكل مطلق كل الاسئلة الموجهة إليهما. لكن بدا من المستحيل ألا يسمعا تلك الاسئلة.

- منذ متى أنت والآنسة بنيتو على علاقة؟

- إلى أين ستذهبان في رحلة شهر العسل؟

- هل كان والدك يعلم أنكما ستتزوجان قبل أن يموت؟

- آنسة بنيتو، هل كنت...

علق روفوس ببرودة: «اسمها الآن السيدة غريشام».

أوصل غابرييلا إلى المقعد المجاور له، ثم صعد وراء المقود وأدار المحرك، وهو يشعر بالغضب المدمر. ظهر الضيق على وجهه وهو يحاول إبعاد سيارته عن حشود الصحفيين الذين لا يزالون يحيطون بها. اعترضت غابرييلا ما إن استدار روفوس، وحدق بها بغضب وانزعاج: «لا تنظر إلي! وكأنني سأخبر أحداً أننا ستتزوج».

لكنها تشك بأن روفوس فعل ذلك أيضاً، كما أن تحفظ دايفيد بروستر أمر يعتمد عليه. هي متأكدة من ذلك، كذلك بالنسبة إلى سكرتيرته. إذاً من الذي فعل ذلك؟

تلفظ روفوس بالكلمة ما إن وصل إلى الاستنتاج نفسه: «طوبي!».

لابد أنه طوبي، فهو يعلم أن إثارة الصحافة لخبر زواجهما فكرة جيدة للمرح بالنسبة له. تساءل روفوس ما إن تمكن أخيراً من الهرب من الصحافيين، وأصبح قادراً على السير ضمن ازدحام السيارات: «كيف علم أننا ستتزوج اليوم؟».

- حسناً! يمكنني أن أؤكد لك أنني لم أخبره بذلك.

قالت غابرييلا ذلك بحزم، وهي لا تزال متفاجئة وقلقة بسبب عناق روفوس لها بعد انتهاء مراسم الزفاف. تمتم روفوس بضيق: «هذا كثير».

بإمكانه أن يرى عناوين صحف الغد منذ الآن: «زواج وريث عائلة غريشام»، «ارتدت العروس فستاناً قشدي اللون»...

اشترت غابرييلا الفستان في وقت مبكر من هذا الأسبوع، أما روفوس فكان يرتدي بذلة رمادية وقميصاً بيضاء اللون وربطة عنق رمادية اللون أيضاً، ويبدو كأنه أتى للتو من المكتب. وهذا هو الواقع.

قالت له بنبرة قاسية: «أنزلني عند أول محطة قطار، يمكنني أن أستقل القطار للعودة إلى منزل غريشام».

حقيقة ما حدث بدأت تسيطر عليها، والصعود إلى قطار هادئ بعيداً عن روفوس سيعطيها فرصة للتفكير. لم تدرك أنها ستشعر بهذا الاضطراب بعد الزفاف. تخيلت أن الأمر سيتم بشكل رسمي، وأن بإمكانها الرحيل قبل أن تشعر بالندم وهي تفكر كيف ستتمكن من العيش طوال الأشهر الستة القادمة.

روفوس تزوج من قبل، ومن المحتمل أن هذا الزفاف يعيد إليه عدداً من الذكريات المؤلمة. أما غابرييلا، فكل ما تفكر به أنه ليس الزفاف الذي حلمت به أمها دوماً. مجرد التفكير بأمها التي لن تكون حاضرة في زفافها الحقيقي عندما يحدث - هذا إن حدث - جعلها تشعر برغبة في البكاء.

ألقى روفوس نظرة جانبية على غابرييلا. أهذه دموع، تلك التي تلمع في أعماق عينيها البنفسجيتين؟

لا! هذا ما قرره بقسوة ما إن ألقى نظرة أخرى، إنها لمعان النصر، فهي لن ترث فقط نصف ثروة غريشام، بل إن روفوس أجبر على الزواج بها عنوة أيضاً! أعاد انتباهه إلى الطريق، وهو يضغط بقوة على المقود.

- فكرت أننا نستطيع الذهاب لتناول شراب ما للاحتفال، قبل أن تغادري.

نبرة صوته الهادئة لم تظهر شيئاً من الغضب الداخلي الذي يشعر به. هذا لا يعني أنه لم يحاول التخلص من هذا الوضع، فقد كلف محاميه الخاص بالتشاور مع دايفيد بروستر في محاولة لإيجاد وسيلة لتعطيل تنفيذ الوصية، لكنه لم يسمع منه إلا التأكيد على استحالة هذا الأمر.

حسناً! إن كان قد أجبر على الزواج من غابرييلا، فهذا لا يعني أنه سيسمح بأن تسير الأمور وفق مبتغاها.

قالت غابرييلا بنبرة ساخرة: «شراب؟ هل أنت متأكد أن وقتك يتسع لذلك؟».

أكد لها باستياء: «يمكنني أن أجد الوقت الذي أحتاجه».

نظرت غابرييلا إليه باهتمام. هل يتصرف بلطف معها، أم أن هناك أهدافاً أخرى وراء رغبته في قضاء المزيد من الوقت معها؟ على الأرجح أنه يريد أن يتلو عليها محاضرة أخرى كي تبقى بعيدة عن ابنته. هولي الآن في السابعة من عمرها. مضت خمس سنوات منذ أن تكلمت غابرييلا معها، إلا أنها رأت الفتاة الصغيرة في مناسبات عائلية عدة في ما بعد، لذا هي تعلم أنها تبدو تماماً مثل روفوس، مع شعرها الذي يشبه لونه لون القهوة وعينيها الخضراوين. باستثناء ذلك لا تملك غابرييلا أي فكرة عن الفتاة الصغيرة التي تخلت عنها أمها بعد مرور عدة أشهر على ولادتها. كل ما تتمناه غابرييلا هو ألا تعتقد تلك الفتاة الصغيرة أنها زوجة أب شريرة مثل أمها. تنهدت قائلة: «حسناً!».

إنها ليست في عجلة من أمرها للعودة إلى منزل غريشام، حيث ستعمل مدبرة المنزل مع كل العاملين هناك على إعداد استقبال خاص للسيد والسيدة غريشام.

قال روفوس موبخاً بلطف: «حاولي أن تظهري بعض الحماسة. في النهاية، هذا يوم زفافنا».

أجابت على الفور بضيق وانزعاج: «لا تذكرني بذلك».

ابتسم روفوس باستياء. هو أيضاً ليس بحاجة إلى أي أمر يذكره بحقيقة أنها أصبحت زوجته الآن.

بدت غابرييلا أكثر حذراً ما إن أوقف سيارته واتجه برفقتها نحو مبنى شاهق الارتفاع: «إلى أين ستأخذني؟».

أجاب روفوس بدون أي اهتمام: «لدي شقة هنا، آتي إليها عندما أتأخر في المدينة بسبب العمل».

هزّ رأسه محيياً رجل الأمن الجالس وراء مكتبه، قبل أن يدخل المصعد، ويضغط على الرقم السري للطابق الأعلى في المبنى.

عندما يتأخر في المدينة بسبب العمل! كررت غابرييلا ما قاله بصمت وهي تقطب جبينها. ما الذي يعنيه بكلامه هذا؟ لابد أنه يحتفظ بشقة في المدينة ليستخدمها عندما يريد أن يمضي الليل مع إحدى عشيقاته. بالطبع هو لا يستطيع أن يأخذ عدداً لا يحصى من النساء إلى منزله، حيث يعيش مع هولي. لا بد أنه بحاجة إلى مكان ما أكثر خصوصية لمثل تلك العلاقات، وها هو يأخذها إلى هناك الآن.

- لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة، روفوس.

لكنها لم تستطع أن تضيف كلمة اعتراض أخرى، إذ شدها روفوس إليه بقوة وأخفض رأسه ليعانقها.

أجل! إنها بالطبع رائعة. هذا ما اعترف به روفوس لنفسه ما إن بدأ بمعانقتها. لاشك لديه أن كل ما فيها رائع وجذاب... تملكه توق شديد لا يقاوم إليها. حسناً! لا نية لديه أن يبقي رغباته تحت السيطرة، فغابرييلا هي الآن زوجته، وهو يريدها...

ما الذي يفعله روفوس؟ بالكاد حظيت غابرييلا بالوقت لتتساءل، قبل أن تضيع في عناقه.

عليها أن توقفه الآن، فهي تعلم إلى أين سيوصلهما هذا العناق، لكن ليس هناك من وسيلة مطلقاً، بالرغم من إدراكها لما سيحدث. إنها لا تستطيع مقاومة العواطف الملتهبة التي تجتاحها. تعلقت غابرييلا به بضعف، وهي ضائعة تماماً.

فُتح باب المصعد مباشرة إلى الشقة في الطابق العلوي، فشعرت على الفور بالهواء البارد يلفح بشرتها. فتحت عينيها المليئتين بالسعادة، ما إن رفع روفوس رأسه لينظر إليها، وغابت السنوات الخمس في لحظة من اللهفة والشوق المتبادلين. إنها بكل بساطة، لا تريد لهذه السعادة أن

تنتهي، ولا تستطيع إيقافها أو منعها، أما روفوس فليس لديه أي شك بأنه هذه المرة سيصل معها إلى النهاية، وسيبقيها هنا حتى تصبح له بكل وسيلة ممكنة.

دخلا إلى غرفة النوم، وهناك لم يعد روفوس يرى فيها تلك المرأة الجشعة، بل المرأة التي تثير أعصابه كلما نظر إليها.

هما الآن زوج وزوجة، وهو يستطيع أن يقيم علاقة حميمة معها، ويروي ظمأه إليها...

وهذا ما حصل فعلاً...

* * *

استلقت غابرييلا على صدر روفوس مستكينة. لم تعرف كم من الوقت مر عليهما، فقد كانا غارقين في بحر من الشغف والمشاعر الملتهبة. شعرت كأن الطاقة كلها قد استنفدت من جسدها. ما هي إلاّ لحظات حتى شعرت بجسدها يتوتر، وهي تنتظر سماع كلمات السخرية والاستخفاف منه. هذا ما هي متأكدة من سماعه بسبب استجابتها المطلقة له.

بدلاً من ذلك لم يُسمع إلاّ صوت أنفاسهما في تلك الغرفة الهادئة.

تساءلت غابرييلا، لماذا لم يقل روفوس شيئاً ما؟ أين هي اتهاماته؟ مع أنه هو من بدأ بمعانقتها في المصعد طوال الطريق إلى هنا، لكنها تعرف روفوس جيداً، وهي متأكدة أنه سيقلب كل ما حدث عليها بطريقة ما، وستصبح هي المسؤولة وهي من أغوته. فجأة قال روفوس بنبرة ساخرة: «بما أن لدي زوجة جذابة ومتجاوبة مثلك، فلن أكون بحاجة إلى هذه الشقة من جديد طوال الأشهر الستة لزواجنا».

بكلمات أخرى، الآن وبعد أن أصبحا زوجين، روفوس يريد استغلالها تماماً كما يفعل مع عشيقاته، من أجل علاقة جسدية محضة.

لكن غابرييلا لن توافق مطلقاً على ذلك!

٤ - مبارزة وشجار

- أين اختفيت بحق السماء بعد ظهر هذا اليوم؟

نظرت غابرييلا إلى انعكاس صورة روفوس في مرآة غرفة الحمام، ما إن وقف وراءها عند إطار الباب. شعرت بالرضى والامتنان لأنه لم يصل قبل لحظات، وقبل أن تلف جسمها بالمنشفة بعد أن استحمت. في الواقع هو ليس بحاجة إلى جواب عن سؤاله، فقد بدا واضحاً أنها استغلت فرصة ذهابه للاستحمام لتتمكن من الهرب بسهولة من الشقة. تلك الشقة التي أقاما فيها علاقة حميمة، والتي يأخذ روفوس عشيقاته إليها كما يبدو.

هو لم يتبعها في النهاية. أليس كذلك؟ إنها الساعة السابعة، وقد علمت غابرييلا من ابنة زوجها الغاضبة أن هذا هو الوقت المعتاد الذي يعود فيه روفوس إلى البيت من العمل.

لم تبذل غابرييلا أي مجهود لتستدير وتنظر إليه، مفضلة النظر إلى انعكاس صورته في المرآة. بدلاً من ذلك، التقطت علبة المرطب المعطر للبشرة، ووضعت القليل منه على يديها قبل أن تدلك ذراعيها به.

قالت ببرودة: «اعتقدت أننا انتهينا من بعضنا لهذا اليوم».

لوى روفوس شفتيه بتذمر قائلاً: «أحقاً؟ أم أنك هربت فقط لأنك جبانة».

رفعت نظرها بتحدٍ ما إن رأته يراقب حركاتها، ونظراته تلمع برغبة

لا نية لها مطلقاً بالاعتراف بها.

- جناحك في الطابق الأرضي قرب قاعة الاستقبال، على ما أظن.

اتكأ روفوس بلا اكتراث على إطار الباب قائلاً: «وماذا ستفعلين إن لم أغادر؟ هل ستطلبين المساعدة؟».

لاشك أن تلك ستكون مبادرة عقيمة. هي تعرف ذلك، فهو سيد هذا المنزل في النهاية. لكن المنطق يقول إنها السيدة الجديدة لهذا المنزل أيضاً. أكدت له بثقة: «إذا احتجت لذلك».

وضعت المرطب المعطر فوق كتفيها. حبس روفوس أنفاسه، فيما شعر بالتوتر بسبب برودتها بعد تلك السعادة التي تشاركا بها بعد ظهر هذا اليوم.

بدت غابرييلا كالنار بين ذراعيه حينها، تعلقت به بشدة متقبلة كل ما قدمه لها. فلماذا هذا التغير المفاجئ؟ إن كانا سيعيشان معاً لمدة ستة أشهر، فهو ينوي مشاركة زوجته بالفراش طوال تلك الفترة. بالنظر إلى تصرفاتها حياله في ماجوركا، وردة فعلها نحوه اليوم، هو يعتقد أن هذا ما تريده هي أيضاً، فهي لا تستطيع الادعاء أنها ليست منجذبة إليه. لماذا إذاً استغلت فرصة غيابه القصيرة بعد ظهر هذا اليوم، واختفت لتذهب إلى منزل غريشام؟

كررت ببرودة: «طلبت منك الرحيل، روفوس!».

لم تنظر غابرييلا إليه، بل ركزت اهتمامها على وضع المرطب على بشرتها. تاق روفوس لأن يتولى تلك المهمة بنفسه. تاق لأن يجعلها تذوب بين ذراعيه من جديد، كما حدث صباح هذا اليوم.

عقدت غابرييلا شعرها الأسود الطويل عند قمة رأسها، ما أبرز عنقها وكتفيها. بدت بشرتها المتوهجة أكثر نعومة. رفعت نظرها إليه بنزق ما إن شعرت بنظراته الملتهبة: «أما زلت هنا؟».

زفر روفوس بشدة، وعلق: «أنا أعيش هنا، أيضاً!».

قالت بازدراء: «كما قلت لك من قبل، غرفة نومك وغرفة الحمام الخاص بك في الطابق الأرضي».

قال راغباً في إزعاجها: «لربما أحب هذه الغرفة أكثر من غرفتي».

رفعت غابرييلا كتفيها، وأجابت: «في هذه الحالة، يمكننا أن نبدل الغرف».

هذه غابرييلا مختلفة تماماً عن تلك التي عرفها من قبل، مختلفة عن الفتاة التي كانت مولعة به منذ خمس سنوات، وعن المرأة التي بدت تواقة جداً بين ذراعيه بعد ظهر هذا اليوم. غابرييلا هذه باردة جداً وغامضة جداً، وأكثر سيطرة على ذاتها.

قال بضيق: «تم إعلامي أن العشاء سيقدم عند الساعة الثامنة».

هزت غابرييلا رأسها بانحناءة صغيرة، وقالت: «هذا هو الوقت الذي حددته لمدبرة المنزل لتقديم العشاء».

ابتسم روفوس بدون أي مرح: «أنت لا تمانعين في القيام ببعض واجباتك الزوجية إذاً؟».

تابعت غابرييلا التحديق به بثبات وهي تقول: «البعض منها فقط».

ثم هزت رأسها مؤكدة وهي تضيف بحزم: «لكنني سأختار بنفسي الواجبات التي أريدها، روفوس».

ومشاركته الفراش للأشهر الستة القادمة ليست من الأمور التي ستختارها، كما هو واضح.

تباً! بدا له بعد ظهر هذا اليوم أن هذا هو الحل المثالي للتخلص من ذلك التوق الدائم للحصول عليها، وأن ذلك سيتم من خلال موافقة ورضا متبادلين. الأمر لا يحتاج إلى أي ارتباطات أو وعود كاذبة. ظن أنه سيحصل على ما يريده بالتحديد عندما يريد ذلك، وهو وجود غابرييلا في سريره. أما قيامها الآن بدور المرأة الصعبة المنال، فلا يناسب مطلقاً تلك الأفكار التي راودته.

قالت غابرييلا لتحثه على الرحيل: «أليس من المفترض أن تذهب لرؤية هولي الآن؟ أخبرتني عندما تحدثت معها في وقت سابق، أنك تمضي نصف ساعة فقط معها، قبل أن تذهب إلى سريرها».

قطب روفوس جبينه بتجهم شديد وهو يقف مستقيماً: «هل أشعر بالانتقاد في نبرة صوتك، غابرييلا؟».

أجابت بنعومة: «لا أدري. أهذا ما تشعر به؟».

استمرت في التحديق بعينيه الخضروين اللتين تشابكت نظراتهما مع نظرات عينيها. شعرت غابرييلا بالارتجاف في أعماقها، فذكريات ما حدث بينهما لا تزال واضحة في مخيلتها. ما كان يجب أن يحدث ذلك، لكن ما جرى لم يكن متوقعاً، وقد حدث بقوة جارفة، لدرجة أنها ببساطة لم تملك القوة ولا الإرادة لمقاومته. لكنها باستسلامها له وضعت نفسها في موقف ضعيف منذ بداية هذا الزواج المزيف، موقف ترغب بشدة أن تعكسه بسرعة قصوى بأي وسيلة ممكنة.

ضغط روفوس على أسنانه قبل أن يقول: «علاقتي بابنتي ليست من شأنك بالمطلق».

رفعت غابرييلا حاجبيها وهي تسأله: «وهل لديك علاقة بها؟».

ضاقت نظرته قائلاً: «ماذا تقصدين بقولك هذا بالتحديد؟».

استدارت غابرييلا لمواجهته الآن. قالت بسخرية: «من الصعب القول إن قضاء نصف ساعة معها كل مساء هو علاقة جيدة».

تذكرت غابرييلا بعاطفة كبيرة سنواتها الأولى في المدرسة، حيث كانت أمها تنتظرها أمام أبواب المدرسة لتعود بها إلى البيت سيراً على الأقدام. بعدئذٍ كانتا تجلسان معاً في المطبخ، فتستمتعان باحتساء الشوكولا الساخنة، وهما تتحدثان عن أحداث النهار، ثم تساعدها أمها في إتمام واجباتها المدرسية، قبل أن تطبخا وجبة العشاء معاً.

بالطبع تغير نظام حياتهما ما إن أصبحتا بمفردهما، وكان على أمها

أن تعمل بدوام كامل لتتمكن من إعالتهما. لكن غابرييلا كانت حينها في الرابعة عشرة من عمرها تقريباً، وقادرة تماماً على الاهتمام بنفسها حتى عودة أمها إلى المنزل، لتتناول هذه الأخيرة وجبة طعام جاهزة، لأنها كانت تعود متعبة جداً ولا رغبة لديها في القيام بذلك بنفسها. من خلال هذا العمل، اكتشفت غابرييلا حبها للطهو.

هولي غريشام في السابعة من عمرها، وهي تذهب إلى المدرسة وتعود منها بسيارة فاخرة يقودها سائق خاص. عندما تصل إلى المنزل تتناول الشاي مع الطاهية في المطبخ، ثم تمضي أوقاتها في غرفة نومها حتى عودة والدها إلى المنزل. بعد ذلك يمضيان نصف ساعة معاً قبل أن تخلد إلى النوم. أخبرتها هولي بذلك بغطرسة، ما إن دقت غابرييلا على باب غرفة نومها لترى ما الذي تفعله.

من الواضح أن هولي تشبه والدها، فهي كما يبدو ورثت منه غروره وتفاخره وثقته بنفسه، كما يبدو أنها ليست منزعجة من الساعات التي تمضيها بمفردها في غرفة نومها، أو من حقيقة أنها تستحم بنفسها قبل أن تُعد سريرها للنوم.

إنها في السابعة من عمرها فقط، لكنها تعطي انطباعاً أنها ليست بحاجة إلى أحد منذ الآن.

تبدو هولي ناضجة جداً بالنسبة إلى فتاة في السابعة من عمرها. تعلم غابرييلا أنه لم يكن من السهل على روفوس أن يُترك مع فتاة لم تبلغ من العمر أكثر من شهرين، لذلك كان عليه الاستعانة بالكثير من المربيات للاعتناء بطفلته، وهو لم يستطع التخلص منهن إلا عندما بدأت هولي بالذهاب إلى المدرسة، أي منذ سنتين.

لكن بالنظر إلى الألعاب الباهظة الثمن التي تملأ غرفة نوم هولي، يبدو أن روفوس يمطر ابنته المحرومة من أمها بالكثير من الأشياء المادية ليعوض الحب وتمضية الوقت معه، وهذا ما هي بحاجة إليه بالفعل.

علاقته بابنته ليست من شأن غابرييلا بالمطلق! هذا ما أخبرها به.

حسناً! نظراً إلى الوقت القصير الذي ستشاركهما فيه حياتهما، فلربما لا شأن لها بالفعل، لكن هذا لا يمنعها من إبداء رأيها بالموضوع.

قال روفوس بقسوة: «طلبت منك أن تبقي بعيدة عن هولي».

رفعت غابرييلا كتفيها بلا اهتمام، وقالت: «اعتقدت أن على أحدهم أن يتحقق إن كانت لا تزال حية أم لا».

- لا يحق لك التحدث عنها على هذا النحو، تباً!

تابعت غابرييلا بحزم: «كما أنني لست بحاجة لأن يخبرني أي شخص ما يمكنني أو لا يمكنني أن أفعله».

عبس روفوس وعلق: «إذاً، ربما حان الوقت لتعلمي».

قاطعته على الفور: «هل تهددني، روفوس؟».

حدق بها للحظات طويلة، وهو يشعر بإحباط وغضب كبيرين، لأنها تجرأت وانتقدت طريقة تربيته لابنته. أخيراً تمتم: «لا! أنا لا أهددك غابرييلا، لكن يفاجئني أن أتلقى انتقاداً من امرأة، أمها ليست سوى...».

- أنصحك بالتوقف عن المتابعة في هذه اللحظة، روفوس.

رفعت ذقنها تحذره، وهي تنظر إليه وعيناها تقذفان النيران. تابعت بازدراء: «سأخبرك ماذا سنفعل روفوس. ما رأيك بأن نعقد اتفاقاً؟ أنت تترك أمي خارج ما يحدث بيننا، وأنا لن أعلق على ما أراه من نواقص في اهتمامك بابنتك. ما رأيك؟».

أدرك روفوس وهو يقطب جبينه، أن في ما قالته إهانة واضحة تهكمية، حتى لو بدت غامضة. مشاركة المنزل مع هذه المرأة لمدة ستة أشهر ستبدو أطول بكثير مما اعتقده!

التقطت غابرييلا ساعتها من المكان الذي وضعتها فيه قرب المرآة

قبل أن تستحم. نظرت إليها متعمدة، ثم قالت: «إن لم تغادر الآن فلن تجد الوقت لتمضي تلك النصف ساعة مع هولي قبل العشاء».

رفع روفوس حاجبيه متسائلاً: «هل أفهم من ذلك أنك ستنضمين إلي على العشاء هذا المساء؟».

قرر أن يتجاهل الانتقاد المباشر الموجه إليه هذه المرة، فغابرييلا تتوق توقاً شديداً للشجار، وهو لا يملك الوقت الكافي لذلك الآن.

أجابت بانزعاج وضيق: «لماذا تظن أنني لن أشاركك العشاء؟».

رفع كتفيه وهو يجيب: «اعتقدت أنك تعملين في مطعم أثناء المساء أو شيئاً من هذا القبيل».

- توقفت عن العمل في المطعم البارحة. بدءاً من الإثنين القادم سأبدأ بتجديد مطعم غابرييلا.

ذكرته بذلك بنبرة ناعمة، محاولة أن تقلل من أهمية وجوده قربها.

تباً! بعد كل ما حدث اليوم، نسي روفوس تماماً أنه سيتشارك في مكان العمل معها أيضاً.

قالت موبخة: «الدقائق تمر روفوس. يجب ألاّ تدع هولي تنتظر».

قال روفوس لنفسه بغضب وهو يستدير ويسير مبتعداً: طوبي كان على حق، فهو غير متأكد أنه يستطيع تحمل غابرييلا في المنزل نفسه لست ساعات، فما بالك بستة أشهر؟

* * *

- أين هو خاتم زفافك؟

نظرت غابرييلا إلى روفوس عبر مائدة الطعام ببرودة متعمدة.

مضت خمس عشرة دقيقة حتى الآن على البدء بتناول العشاء في غرفة الطعام الصغيرة. لم يتناول أي منهما الكثير من الطعام، فالمقبلات أعيدت إلى المطبخ من دون أن يمسها أحد.

لم يكن لدى غابرييلا أي فكرة عن سبب إحجام روفوس عن تناول

الطعام. بالنسبة لها، فهي متوترة جداً بسبب جلوسه أمامها، ما يجعلها غير قادرة على ذلك.

فكرت بوضعها هذا كثيراً قبل أن تنزل لتناول العشاء. بعد ما حدث بينهما بعد ظهر هذا اليوم، قررت أن التصرف ببرودة هو الوسيلة الأفضل للتعامل مع روفوس في المستقبل، فهذا سيمنعه من قراءة عواطفها وأحاسيسها، بالإضافة إلى ربح أكيد يتمثل بإغضابه وإثارة جنونه في الوقت نفسه. هي لن تتحدث معه إلاّ إذا وجه إليها الكلام مباشرة كما يحصل الآن.

أجابت بلا اكتراث: «نزعت الخاتم قبل أن استحم. لم أرغب بأن يتحول لون إصبعي إلى أخضر داكن».

بدا روفوس غير مصدق لما يسمعه. وضع سكينه وشوكته لينظر إليها.

سألها: «ماذا تعنين بكلامك هذا بحق السماء؟ أتعتقدين أنني قدمت لك قطعة رخيصة من المعدن والزجاج؟ أهذا ما تعتقدينه؟».

اتسعت عينا غابرييلا من شدة الدهشة، وسألته: «لا تقل لي إن قطع الماس والذهب فيه حقيقية!».

هما لم يتحدث فعلياً بشأن تبادل خاتمي الزفاف، كما أنهما لم يتحدثا بشأن أي أمر خلال الأيام العشرة السابقة لموعد الزفاف. كل ما حصلت عليه غابرييلا اتصالات هاتفية من روفوس يعلمها فيها أين ومتى سيتم الزفاف، لذلك فوجئت عندما أخرج من جيبه الخاتم في اللحظة المناسبة، ووضعه في إصبعها.

حدق روفوس إليها غير مصدق ما يسمعه، فكررت فيما قطبت جبينها: «أتقول لي إنه خاتم حقيقي؟».

أجاب روفوس بفقدان صبر: «بالطبع إنه خاتم حقيقي. هل اعتقدتِ أنني سأقدم لزوجتي خاتماً مزيفاً؟».

- لِم لا؟ في النهاية، هذا زواج مزيف. أم أن روفوس غريشام لا يرضى بأن يراه أحد يقدم لزوجته خاتماً مزيفاً؟

إنها لا تزال تتوق للشجار، وهو لا يرغب بأمر أكثر من التشاجر معها والفوز عليها، لكنه في الوقت عينه لا يرغب مطلقاً في إعطاء غابرييلا أي شيء تريده الليلة.

هز روفوس رأسه، وأجاب: «هذا يكفي، غابرييلا! كل ما فعلته هو أنني سألتك فقط. يمكنك أن تفعلي ما تشائينه بذلك الخاتم اللعين».

علقت غابرييلا بعد مرور عدة دقائق من الصمت الثقيل: «كيف حال هولي؟».

أجاب روفوس بانزعاج: «بخير، مع أنها ما زالت تستغرب أن الخالة غابرييلا أصبحت الآن زوجة أبيها. ما عدا ذلك، فهي بخير».

- ربما ما كان عليك أن تخبرها.

تنهد روفوس بفقدان صبر وهو يجيب: «آه، بلى! هل تفضلين أن تكتشف الأمر بنفسها عندما يقوم أحد عمال المنزل بمناداتك السيدة غريشام؟ أهذا ما تريدينه؟».

وضعت غابرييلا سكينها وشوكتها، ثم رفعت منديلها وضغطت به بنعومة على شفتيها قبل أن تجيبه: «عمال المنزل ينادونني الآنسة غابرييلا، وأنا متأكدة أنك أخبرت هولي أن كوني زوجة أبيها هو أمر مؤقت، وأن وجودي هنا لن يعيق مطلقاً أو يبدل علاقتك بها».

يا إلهي! تمنى روفوس ألاّ تكون هناك وجبات عشاء كثيرة تجمعهما معاً، فهو لا يظن أن جهازه الهضمي قادر على تحمل هذا التوتر.

وضع سكينه وشوكته على طبقه محدثاً ضجيجاً هذه المرة. قال بغضب: «لست معتاداً على تفسير أي أمر يتعلق بي».

رمى منديله على الطاولة قبل أن ينهض قائلاً: «الحمد لله إنني ذاهب برحلة إلى نيويورك الشهر القادم لعدة أيام. كم أتمنى لو أن

الرحلة تبدأ غداً».

بقيت غابرييلا هادئة في الظاهر وغير متأثرة بانفجاره الغاضب، لكن في أعماقها شعرت باجتياح لا يمكن مقاومته من المشاعر المضطربة.

شعرت بالارتياح للتخلص من حضوره المقلق لعدة أيام، لكنها شعرت في المقابل بانقباض في معدتها لمجرد التفكير أنه لن يكون هنا لفترة من الوقت. قالت لنفسها بحزم، بالطبع هذا إحساس بالراحة والأمان، وما هذا الاحساس المقلق في معدتها سوى مجرد سوء هضم لمحاولتها التصرف بتهذيب معه، وهي تحاول أن تتناول العشاء في الوقت نفسه. هذه هي الحقيقة ولا شيء غير ذلك.

قال روفوس بتحدٍ: «حسناً! أليس لديك تعليق بشأن هذا أيضاً؟».

التقت نظرتها بنظراته الغاضبة، فأجابت: «أتمنى لك رحلة جيدة».

زفر بقوة محاولاً السيطرة على غضبه وهو لا يزال يحدق بها، لأنه يعلم أنها تتعمد إزعاجه والفوز عليه.

- أقصد بالنسبة إلى هولي!

ابتسمت غابرييلا بهدوء، وأجابت: «طلبت مني ألاّ أتفوه بأي تعليق بشأن علاقتك بابنتك».

- هل أفهم من ذلك أن هذه إحدى المناسبات التي اخترت فيها أن تفعلي ما يطلب منك؟

أكدت له بعذوبة: «بالتحديد!».

هز روفوس رأسه بنفاد صبر، وهو يشعر أنه بحاجة قصوى إلى الخروج من هذه الغرفة، قبل أن يهزها بقوة بدلاً من هز رأسه.

من المؤكد أن هذا ليس وقته المعتاد للاسترخاء في المنزل بعد نهار من العمل الشاق، فغابرييلا تعمل على إغضابه وشدِ أعصابه لدرجة أنه بات خائفاً من الانفجار، وهو يعلم من تجربة سابقة أن هذا الانفجار قد يعبر عن نفسه بطرق مختلفة.

- من المحتمل أن تستجد حالات طارئة تبقيني في نيويورك لمدة شهر بدلاً من عدة أيام فقط!

أكمل بنبرة مليئة بالسخط: «هكذا سأحظى بأربعة أسابيع بعيداً عن العيش معك في المنزل نفسه».

لم تظهر غابرييلا أي تعبير يدل على الإحساس بالجرح العميق الذي شعرت به من كلامه إلا بارتعاشة طفيفة في أحدى عضلات خدها.

لماذا عليها أن تشعر بهذا الألم؟ هي تعلم أن آخر ما يريد روفوس القيام به هو الزواج بها ومشاركتها المنزل، فلم تراها تهتم للأمر؟ إن كل ما يفعله الآن يؤكد من جديد ما يشعر به حيالها. أتراها تهتم بسبب ما حدث بينهما بعد ظهر هذا اليوم؟

حسناً! هي لم تتوقع أبداً أن ينتهي بها الأمر في السرير مع روفوس مباشرة بعد زفافهما. في الواقع، هذا آخر أمر توقعت حدوثه. أما الآن وبعد أن حدث ذلك، فهي غير قادرة على إبعاده لحظة عن تفكيرها.

أظهر كل منهما شوقاً شديداً للآخر، بل نهماً وتوقاً لا مثيل لهما منذ اللحظة التي دخلا فيها إلى المصعد. في الواقع، بالكاد تمكنا من الوصول إلى غرفة النوم قبل أن يرتميا في حضني بعضهما البعض.

بعد ظهر هذا اليوم، وعلى الرغم من أن هذه هي تجربتها الأولى في علاقة حميمة مع رجل، فإن علاقتهما بدت متهورة وجامحة تماماً. ما يخيفها أن تلك العلاقة قد تحدث ثانية وفي أي وقت. أما ما يخيفها أكثر فهو ألاّ تحدث ثانية أبداً.

يا لسخافة وغرابة ما تشعر به!

ظل روفوس يحدق بها لفترة كافية، قبل أن يزفر باشمئزاز، ويستدير راغباً في المغادرة.

تعمدت غابرييلا إيقافه ما إن وصل إلى الباب، قائلة: «آه، روفوس!».

تنفس بهدوء محاولاً السيطرة على نفسه، مهدئاً أعصابه وأنفاسه قبل أن يستدير ببطء وهو يقول: «نعم؟».

نصحته بنبرة ساخرة: «لو كنت مكانك، لاحتفظت بتلك الشقة، كي تستعملها في المستقبل مع من تشاء».

لمعت عيناه الخضراوان بالغضب. أخذ يحدق بها ببطء، ويقول بنبرة ساخرة ومتعالية: «سأفعل ذلك بدون شك».

بدت نبرة صوته في الجملة الأخيرة متحدية، قبل أن يستدير ويخرج بسرعة من الغرفة.

سمعت غابرييلا صوت انغلاق باب عبر قاعة الدخول بعد لحظات قليلة، فافترضت أنه ذهب إلى الغرفة التي كان والده يستعملها مكتباً له، والتي أصبحت الآن له.

انهارت بضعف على كرسيها، بعد أن أصبحت وحيدة، واستسلمت للاحساس بالذهول والغرابة اللذين شعرت بهما منذ أن غادرت شقته.

في الواقع، هي لم تتمكن من مغادرة الشقة بالسرعة التي رغبت بها، بعد أن أدركت ما الذي فعلته.

فجأة أدركت أن لا رغبة لديها مطلقاً بأن تدع روفوس يعلم أنه حبيبها الأول والوحيد...

هي لا تريده أن يعرف ذلك الآن أو في المستقبل على السواء...

٥ - عصفورا الحب

- أخبريني بالتحديد، ما هذا الذي تفعلينه؟

ترنحت غابرييلا قليلاً على أعلى درجة في السلم الذي تقف عليه، وتمكنت بصعوبة من أن تحافظ على توازنها، قبل أن تستدير لتنظر إلى حيث يقف روفوس عند أسفل السلم محدقاً بها بنظرة انتقادية.

لابد أنها تبدو في حالة من الفوضى! اعترفت غابرييلا بذلك وهي تشعر بالانكماش في أعصابها. إنها تغطي شعرها بوشاح، لكن عدداً من الخصل أفلت منه، وسقط على جانبي وجهها المتقد المتورد بسبب المجهود الذي تبذله. بدا وجهها خالياً من أي تبرج، أما قميصها الأرجوانية اللون القصيرة الكمين، وسروالها الأسود القطني فيبدوان بدون ترتيب.

إنها تعمل منذ الصباح على إزالة اللوحات القديمة والنباتات الاصطناعية المليئة بالغبار من المقهى. في حين أن روفوس يبدو رائعاً كالعادة، فهو يرتدي بذلة سوداء اللون مع قميص حريرية قشدية اللون وربطة عنق مناسبة.

وصلا إلى البلدة هذا الصباح كل بمفرده. انتظرت غابرييلا في غرفتها حتى انطلق روفوس بسيارته إلى الشركة، قبل أن تخرج لتستقل القطار، وهذه هي المرة الأولى التي تراه فيها منذ وصولها إلى الشركة منذ أكثر من ساعتين.

أجابته بضيق وهي تنزل السلم بهدوء وحذر: «ماذا يبدو لك أنني أفعل؟».

فقدانها لتوازنها وسقوطها بين ذراعي روفوس هو آخر أمر تريد القيام به، بعد أن أمضت عطلة الأسبوع وهي تتجنب رؤيته.

لم يكن من الصعب عليها القيام بذلك. أقدم روفوس على اصطحاب ابنته معه إلى العمل نهار السبت، ثم خرجا معاً طوال نهار الأحد، وفي الأمسيتين لم يعودا إلى منزل غريشام إلا بعد وقت العشاء، حيث عمد روفوس إلى وضع ابنته في فراشها قبل أن يختفي في مكتبه لما تبقى من الوقت.

هكذا أمضت غابرييلا عطلة نهاية الأسبوع بمفردها. تنقلت في أرجاء منزل غريشام على هواها، وهي تشعر أن هذا المنزل بني ليضم عائلة كبيرة جداً لا امرأة وحيدة تشعر بملل قاتل.

- أما قلت إنك ستحضرين عمالاً للبدء في تنظيف المكان؟

قطب روفوس جبينه وهو ينظر حوله. يبدو بوضوح أن غابرييلا تعمل هنا بمفردها، لقد نزعت الكثير من الملصقات، وفرشت الأرض كلها بملاءات، لتمنع التصاق الطلاء عليها، كما وضعت ملاحظة تتعلق بإغلاق المطعم على الباب الخارجي، مع إعلان يقول إن مطعم غابرييلا سيفتتح في غضون أسبوعين.

وصلت غابرييلا إلى أسفل السلم. نفضت الغبار عن يديها وهي تقول: «سوف يبدأون بالعمل غداً، لكنني فكرت في القيام بالتحضيرات للعمل بنفسي، كإزالة الأعمال الفنية القديمة وبعض الأشياء الأخرى!».

رفعت كتفيها وهي تتابع: «أنا أكره النباتات الاصطناعية».

قال بسخرية: «أنت تفضلين الأشياء الحقيقية. أليس كذلك؟».

لم يعرف روفوس أنها في المبنى حتى ذكر أحد أفراد فريق عمله أن من الجيد رؤية العمل يبدأ في المطعم الجديد.

قاوم بشدة القدوم إلى هنا لرؤية ما يجري بنفسه لمدة نصف الساعة

أو أقل، مصارعاً بقوة الحاجة الملحة ليأتي ويرى غابرييلا من جديد. اعترف بضيق أنها تبدو جميلة، بالرغم من هيئتها الفوضوية. شعرها الأسود الكثيف المتألق بجماله مخبأ تحت وشاح أرجواني، وعيناها تلمعان ببريق بنفسجي تحت رموش طويلة وكثيفة، أما بشرتها البيضاء فمتوهجة، وهناك لطخة من الغبار على أنفها.

تعمد روفوس اصطحاب هولي إلى خارج المنزل معظم الوقت خلال عطلة نهاية الأسبوع تلبية لحاجته إلى الابتعاد كلياً عن غابرييلا.

اعترف لنفسه بازدراء واشمئزاز، أن ما دفعه إلى ذلك أيضاً الرغبة في معاقبتها لأنها - على العكس منه - لا تشعر نحوه بالتوق الذي يشعر هو به. ذلك التوق يكاد يقوده إلى الجنون. والآن ها هي في شركة غريشام! إنها تبدو أكثر جمالاً وفتنة من ذي قبل، من دون مساحيق الزينة المترفة والثياب الأنيقة الفاخرة.

قال بنبرة مليئة بالتحدي: «أنا أيضاً أفضل الأمور الحقيقية غابرييلا! لكن من المؤسف أن من الصعب جداً إيجاد ذلك».

سخرت منه بالقول: «استمر في البحث روفوس، وأنا واثقة أنك ستتمكن من إيجادها يوماً ما».

رد على الفور: «ربما لا أريد إيجادها».

رفعت كتفيها، وهي تجيب: «هذا خيارك بالطبع».

أجل، إنه كذلك! فبعد زواجه بأنجيلا أصبح روفوس يعرف الأشخاص المزيفين جيداً، ووالدة غابرييلا أكدت رأيه بهذا الشأن.

والآن ها هي غابرييلا تستعمل جمالها وجاذبيتها بالطريقة نفسها. مع ذلك هو ما زال يتوق إليها. قطب جبينه من شدة استيائه من نفسه: «قال لي أحد الموظفين إنك هنا، ففكرت أنك ربما تريدين الصعود إلى غرفة الطعام الكبرى في الطابق العلوي لتناول الغداء».

رفعت غابرييلا نظرها إليه، وعبست. إنها لا تثق فعلاً بدعوته،

فروفوس لم يظهر أي اهتمام بها طوال عطلة الأسبوع فهل يفعل هذا الآن عمداً؟ غاب تقطيب جبينها عندما أدركت الجواب.

ابتسمت بلا مرح، وقالت: «أتعتقد أن فريق عملك يتوقع منا أن نبدو كأي زوجين سعيدين في شهر عسلهما، روفوس؟».

لا شك أن موظفي شركة غريشام عرفوا أنهما تزوجا يوم الجمعة الفائت، إذ كما توقع روفوس، نشرت صحف صباح نهار السبت قصتهما، ونشر بعضها صوراً لهما في الصفحات الأولى. لكن، الحمد لله! لم يستغرق الأمر أكثر من نهار واحد، إذ إن فضيحة حكومية جديدة شغلت عناوين صحف نهار الأحد.

لوى روفوس شفتيه باستياء قبل أن يقول: «أنا متأكد أن أفراد فريق عملي متحفظون جداً، وهم لن يعلقوا على أمر زواجنا مطلقاً».

مع أنه تلقى عدداً من التهاني والتمنيات بالسعادة هذا الصباح عندما وصل إلى المتجر.

علقت غابرييلا بنبرة جافة: «إنه أمر يصعب تصديقه. أليس كذلك؟».

تساءل روفوس إن كانت تعلم كم تبدو رائعة برغبتها الدائمة لمواجهته، فهي بذلك تبقي الانجذاب والشوق مشتعلين بينهما كألسنة النار. من المحتمل أنها لا تدرك ذلك، وإلا لما أصرت على مواجهته!

تنهد بنفاد صبر، قائلاً: «اقترحت عليك أن نتناول الغداء معاً غابرييلا، لأنني أعتقد أن من الغرابة ألاّ تأكلي في المكان نفسه الذي يتناول فيه زوجك طعامه».

ابتسمت غابرييلا ابتسامة مليئة بالحقد قبل أن تقول: «لا بد أن من الصعب عليك تقبل ذلك، روفوس!».

أجاب بنبرة ناعمة كالحرير تعبق بالسخرية: «لا! على الاطلاق، لكن أعتقد أنك بحاجة لأن تغتسلي وترتبي هندامك قليلاً، قبل أن

تنضمي إلى المجموعة في الطابق العلوي».

انتظرت غابرييلا حتى سار بخطى واسعة مبتعداً، قبل أن تمد لسانها نحو ظهره. لاشك أنه تصرف طفولي، لكن ذلك جعلها تشعر بالتحسن.

سمعته يعلق بنبرة دافئة، من دون أن يستدير: «أنا متأكد أننا لو فكرنا بالأمر قليلاً، يمكننا أن نجد طريقة أفضل من لسانك للتعبير، غابرييلا».

رفع إحدى الستائر من فوق الباب قبل أن يختفي تماماً في المدخل الرئيسي للطابق.

اعترفت غابرييلا وهي تشعر بالاحباط، أنها تصرفت بغباء. جلست بتثاقل على أولى درجات السلم، وهي تتنفس بعمق، لأنها علمت أنها خسرت هذه الجولة بدون أي شك.

هذا أحد الأسباب التي دفعتها إلى التأخر أكثر من نصف ساعة، قبل أن تصعد إلى غرفة الطعام الخاصة بالهيئة الإدارية في الشركة.

عملت بنصيحة روفوس فقامت بترتيب هندامها؛ نزعت الوشاح عن رأسها، ومشطت شعرها الحريري، فانسدل بأناقة على كتفيها، ثم غسلت وجهها بسرعة، ونفضت الغبار عن ثيابها. كلما طال تأخرها، كلما زاد احتمال أن يكون روفوس قد أنهى تناول طعامه وعاد إلى مكتبه.

ما إن دخلت حجرة الطعام حتى أدركت أن لا أمل لها بذلك. رأت روفوس جالساً إلى الطاولة مع عدد من الأشخاص، افترضت أنهم مدراء الأقسام لديه، ولاحظت أن المقعد المجاور له ظل فارغاً. لابد أنه ترك لها.

قالت متظاهرة بالحماس: «آسفة لأنني تأخرت، حبيبي».

ثم جلست على الكرسي بجواره. تعمدت أن تبقي ملامح وجهها

هادئة وصافية، عندما لاحظت أنه يرمقها بنظرة تقييمية من بين رموشه الكثيفة.

أجاب بهدوء: «لابأس، حبيبتي! فأنا أعلم كم أنت منشغلة».

ابتسمت له غابرييلا راغبة في استفزازه، وقالت: «لست منشغلة إلى درجة تمنعني من إيجاد الوقت الكافي لتناول الغداء مع زوجي. ألن تقدمني للجميع، روفوس؟».

نظرت باهتمام إلى الاشخاص الجالسين إلى الطاولة، وهم خمسة. جميعهم كانوا ينظرون إليها باهتمام واضح. قام روفوس بتعريفها إلى أعضاء فريقه الإداري، وهو متأكد أن غابرييلا سوف تنسى أسماءهم في الوقت الذي ينتهون فيه من تناول الطعام. كما أنه أدرك أنها تستمتع باللعب معه، فهي تعتقد أنها قادرة على التغلب عليه، مستغلة وجوده مع فريق عمله.

استدار قليلاً في مقعده، فأصبح أكثر قرباً منها. أدرك من ردة الفعل الخفيفة التي نجمت عن حركتها أنها ليست محصنة تجاهه، كما تحب أن تتظاهر أمامه. تنشق بقوة وهو يضغط خده على جانب وجهها، قبل أن يقول: «هممم! رائحتك عطرة، عزيزتي».

تراجعت غابرييلا إلى الوراء، ونظرت إليه بشك وحيرة. شعرت بالاستياء لأن مخططاً آخر للنيل منه قد فشل، فروفوس هو من يطلق النار عليها الآن.

تمتمت بعد لحظات: «لم أعلم أنك مولع برائحة الغبار، حبيبي».

تراجع روفوس إلى الوراء قليلاً. بدت ابتسامته مرهقة لها وهو يحدق بها قائلاً: «رائحتك دائماً ممتعة بالنسبة لي، غابرييلا».

أكد لها ذلك وهو يرفع شعرها ليقرب وجهه من أذنها. حركة لم تتوقعها أبداً!

لم تظن غابرييلا يوماً أن روفوس هو من الرجال الذين يعبّرون عن

عواطفهم في مكان عام، لاسيما مع امرأة لم يرغب مطلقاً بأن تكون زوجته. استغل روفوس الفرصة ليهمس في أذنها محذراً: «لن تتمكني من إحراجي، غابرييلا».

عاد ليجلس مستقيم الظهر على مقعده، فيما بدا للموجودين أنه سعيد جداً لجلوسها بجانبه.

هذا كثير على القرار الذي اتخذته ليلة الجمعة بأن تبقى هادئة بحضوره. وبخت نفسها لأنها طلبت بدون انتباه طبق سلطة الدجاج لتتناوله على الغداء، بالرغم من شعورها بالارهاق والحرارة. ليس بسبب تراشقهما بالكلمات، بل لأن بشرتها ما تزال تخزها بسبب ملامسته غير المتوقعة. كما أنها تشعر بالخدر في أذنها أيضاً، بسبب ملامسة أنفاسه الحارة لها. الهدوء والتصرف ببرودة؟! كيف يمكنها ذلك، وهي تشعر كأنها محاطة بألسنة من اللهب من شدة إحساسها به!

هذا أمر لا يناسبها مطلقاً. في الواقع، فقدت غابرييلا كل شهية لتناول طعامها بعد أن أحضره لها أحد العمال، إذ إن روفوس بقي ملتصقاً بها طوال فترة تناولهم الطعام. بدا غير مدرك لهذه الملامسة بينهما، لأنه راح يتحدث بأمور العمل مع فريق عمله كأنها غير موجودة بينهم.

لكم تود أن تبتعد عنه، لكنها لو فعلت ستصبح قريبة جداً من الرجل الجالس بجانبها من الناحية الأخرى، وهذا سيبدو غريباً جداً بالنسبة لامرأة تزوجت حديثاً. لذا لا خيار أمامها إلا تحمّل الإحساس بقربه.

امتلأت عينا روفوس بالمرح وهو يستدير لينظر إليها. قال موبخاً بنبرة ناعمة: «لِم لا تأكلين طعامك، حبيبتي؟».

رآها تدفع الطبق بعيداً عنها، وهو ما زال مليئاً بالطعام، فتابع باهتمام: «أنت فعلاً لست بحاجة إلى اتباع أي حمية في نظام طعامك. تعرفين ذلك جيداً».

ابتسمت له غابرييلا ابتسامة حلوة مزيفة، وقالت: «يبدو أنني فقدت شهيتي للطعام روفوس. أعتقد أنني مغرمة».

لاقى روفوس نظرة التحدي في عينيها باقترابه منها أكثر. لف ذراعه حول كتفيها النحيلتين، وقال بصوت أجش: «ربما كان علينا الذهاب برحلة شهر العسل الآن بدلاً من تأجيلها إلى الصيف القادم».

شهر العسل؟! أيام وليال بمفردها مع روفوس؟ لا يمكنها أن تفكر بذلك!

لاشك أن هذا الاقتراح أيقظ دفاعاتها كلها. لاحظ روفوس ذلك من خلال تصلب كتفيها تحت ذراعه، لكنه لاحظ أيضاً ومنذ دقيقتين فقط، أن وجودهما معاً في العمل بعد يومين فقط من زواجهما يبدو غريباً بالنسبة إلى موظفي شركة غريشام.

في الواقع، لم يتوقع ردة فعل بهذا الوضوح من غابرييلا لمجرد اقتراحه رحلة شهر العسل.

- أعتقد أن من الأفضل أن أعود إلى العمل الآن.

أعلنت غابرييلا ذلك بنعومة وبنبرة عادية، لكنها واضحة وحازمة جداً، لاسيما بعد أن أبعدت ذراعه عنها. ابتسمت للجميع وهي تقف متابعة: «أسعدني جداً لقاؤكم، باتريك، مي، جف، نيجيل وجان».

ذُهل روفوس لأنها تذكرت أسماء المدراء لديه. ليس هذا فقط، بل إنها نظرت إلى كل منهم بمفرده وهي تتلفظ بأسمائهم.

قال بصرامة وهو يقف قربها: «سأذهب معك».

رمته غابرييلا بنظرة متفاجئة وهي تعلق: «لا داعي لأفسد اجتماعك، روفوس».

- انتهى الاجتماع، على أي حال.

رفع كتفيه معبراً عن ذلك، ووضع ذراعه حول خصرها النحيل وهو يسير برفقتها عبر قاعة الطعام. في الواقع، هو لا يستطيع حتى أن يتذكر

عما كانوا يتحدثون! أدرك أن هذه المرأة تشوش قدراته العقلية. تمتمت غابرييلا بانزعاج وقلق: «الجميع يحدق بنا».

ابتسم روفوس لأحد المحدقين قبل أن يجيبها: «يبدو بوضوح أن الرجال يحسدونني».

أجابته على الفور: «وأفترض أن النساء يحسدنني كذلك».

استدار ليحدق بها، ويبتسم لها ابتسامة ماكرة معلقاً: «ربما!».

اعترفت غابرييلا وهي تشعر بنفاد الصبر، أنهن كذلك على الأرجح. فروفوس بشعره الأشقر الداكن ووسامته المقلقة، وجاذبيته الطبيعية، هو بالتأكيد أكثر الرجال وسامة في الغرفة. كما أنه مالك هذا المبنى، وذلك أمر قد يستجلب الحسد أيضاً.

هناك قسم واحد في المبنى لا يستطيع روفوس السيطرة عليه!

تذكرت غابرييلا ذلك وإحساس بالرضى يطغى عليها. حتى عندما ينتهي هذا الزواج المخجل، ستبقى هي المالكة الوحيدة لمطعم غابرييلا.

قال روفوس بنبرة مليئة بالشك: «ما الذي يدفعك للابتسام هكذا؟»

نظرت إليه متظاهرة بالبراءة، ثم قالت: «أتساءل فقط ماذا يمكن لأعضاء فريق عملك الإداري أن يقولوا عن رئيسهم المميز لو علموا أنك بعد زواجنا مباشرة لم تستطع الانتظار حتى تخرج من المصعد قبل أن تبدأ بمعانقتي!».

علّق روفوس ما إن فتح باب المصعد الخاص به: «أتقصدين مثل هذا المصعد؟».

آه! ربما ليس هذا الوقت المناسب ولا المكان المناسب، لتستغل ذلك الحادث الخاص لتسخر منه!

ابتسمت وهي تقول: «أعتقد أنني سأنزل الدرج مشياً. في النهاية، لا يبعد المطعم أكثر من طابقين».

ضحك روفوس ضحكة مرحة، وعلّق: «أتخافين من تكرار ما حدث غابرييلا».

أجابت بتصميم: «بل أنا بحاجة إلى تمرين قدميّ».

نظر روفوس إليها وهو مقطب الجبين. ما تقوله غير صحيح. إنها أكثر نحافة مما كانت عليه منذ خمس سنوات. لاحظ تلك الحقيقة فيما كان يحاول أن يتداول بأسعار المبيعات والعروض مع مدرائه، فيما ذراعه ملتفة حول كتفيها.

هز رأسه قائلاً: «في هذه الحالة، هذا ما سأفعله أيضاً».

رمشت بعينيها غير متأكدة مما يحدث بينهما: «روفوس!».

زفر قائلاً: «انزلي الدرج فقط، غابرييلا. أين الصعوبة في ذلك؟».

ليست هناك أي صعوبة في السير على الدرج، إلاّ أن ذلك التصميم القوي الذي يلمع في عينيه الخضراوين هو ما يقلقها بالفعل.

قالت منتقدة: «أليس لديك عمل لتقوم به؟».

رفع روفوس كتفيه، وأجاب: «ليس هناك أي عمل لا يمكن تأجيله».

وصلت غابرييلا بسرعة إلى حالة من الاضطراب وعدم الارتياح، فقربها الشديد من روفوس طوال الساعة الماضية ألهب حواسها، وجعلها منتبهة لكل حركة يقوم بها. هذا الانجذاب القوي والافتتان اللذين تشعر بهما نحوه لا يشبهان مطلقاً أي شيء عرفته أو عاشته في السابق، كما أنهما بعيدان عن أي سيطرة وتحكم، وهذا أمر مرفوض تماماً من قبلها. فهي تعرف جيداً رأي روفوس بها، وهذا ما يجب أن تتذكره دائماً! لكن يبدو أن هذا لا يشكل أي تأثير على الانجذاب الطاغي الذي تشعر به نحوه.

شعرت ببشرتها تقشعر لمجرد لمسة يده على مرفقها، وهما ينزلان الدرج معاً. شعرت بأنفاسها تتقطع. والسبب ليس بالطبع المجهود

الذي تبذله في نزول الدرج. تورد وجهها وكأنها تعاني من الحرارة، كما أن كل عصب في جسدها راح يتلوى من الشوق، وهي تشعر أنها غير قادرة على السيطرة على نفسها.

تمكن روفوس من الإحساس بتوتر غابرييلا، فهو ما زال يمسك مرفقها بقبضة حازمة. رماها بنظرة جانبية وهو يتساءل عن سبب توترها.

بدت عيناها متوهجتين، ووجهها متورداً جداً، كما أن صدرها راح يعلو ويهبط بسبب تقطع أنفاسها.

يا إلهي!

انتظر الوقت الكافي لهما ليدخلا خصوصية المطعم، قبل أن يشدها إلى ذراعيه ويعانقها بقوة، عناقاً بادلته غابرييلا إياه بالشوق والقوة نفسيهما.

تحركت يداها بسرعة فوق ظهره، فشعرت أصابعها ببشرته الدافئة.

أراد روفوس أن يستسلم لرغبة تملكته منذ أن دخل إلى المطعم ورآها هناك. تأوهت غابرييلا ما إن لامست أنفاسه الحارة عنقها، ومررت أصابعها في شعره الأشقر.

بعد مرور بعض الوقت تأوهت معترضة: «روفوس! هناك زبائن في متجر الكتب».

بدا اعتراضها ضعيفاً جداً، وهي تشعر كأنها تذوب بين يديه ما إن لامست يداه خصرها.

تحركت ذراعه حولها. نظر إلى وجهها المتورد وعينيها المندهشتين، ورغب بشدة أن يدفن وجهه في شعرها الأسود المتوهج.

- غابرييلا!

شهقت غابرييلا وهي تشعر بالتوتر قائلة: «أسمع قدوم شخص ما».

مع أن روفوس غير مدرك لذلك، إلا أنها تستطيع سماع وقع أقدام متجهة مباشرة من جهة المكتبة إليهما.

ابتعدت عنه بسرعة. بدت غير قادرة حتى على النظر اليه، وهي ترفع يديها لترتب شعرها بأصابع مرتجفة.

لم تستطع أن تصدق ما حدث بينهما الآن، وذلك الجنون المطبق الذي سيطر عليهما قبل لحظات. إنهما في قلب شركة غريشام، حباً بالله!

من ينظر إليهما، إلى شعر روفوس الأشعث، وإلى اللون المتوهج الذي يعلو خديه، بالإضافة إلى مظهرها غير المتأنق، سيعلم أنهما كانا متعانقين.

تمكنت غابرييلا من إضفاء بعض الترتيب على مظهرها، كما أن روفوس رتب ربطة عنقه عندما أزيحت الستارة جانباً، ودخلت سكرتيرته.

بدت ملامح وجه المرأة مهذبة وهادئة. إن كانت قد شعرت أو رأت شيئاً غير عادي، فهي لم تظهر ذلك أبداً، ولو برمشة من عينيها، غير أن ابتسامتها بدت خجولة، كأنها تعتذر قبل أن تقول: «يؤسفني إزعاجك سيد غريشام، لكن نائب المدير في مخازن نيويورك اتصل بك، وهو يريدك أن تتصل به على الفور».

وجهت تلك الابتسامة الخجولة والمعتذرة إلى غابرييلا أيضاً. شعرت غابرييلا على الفور بعدم الارتياح، وعلمت أن المرأة الأخرى عرفت تماماً سرهما، وهذا أمر مخجل جداً.

إن أرادت الاعتراف بالحقيقة، فإن روفوس بدا غير مهتم مطلقاً لذلك. قال كأنه يصرفها لتعود إلى عملها: «سأذهب إلى المكتب في غضون دقائق قليلة، ستاسي».

قالت المرأة لغابرييلا بحرارة: «نحن جميعاً نتطلع بشوق لرؤية المطعم الجديد الذي ستفتتحينه هنا، سيدة غريشام».

تقبلت غابرييلا ترحيبها بامتنان قائلة: «شكراً لك».

قررت أنها معجبة بسكرتيرة روفوس. إن من يستطيع أن يظهر مثل هذا الود وهذه الكفاءة والمهارة، عندما يتواجه مع شخصين من الواضح أنهما كانا وسط عاصفة من الشغف، لا بد أن يكون شخصاً جيداً. مع أن غابرييلا ليست متأكدة أنه يمكن لأحدهم أن يناديها السيدة غريشام.

قال لها روفوس بنبرة دافئة وحنونة ما إن أصبحا بمفردهما من جديد: «سأجري الاتصال وأعود إليك، غابرييلا».

آه! ما حدث كان جنوناً منذ البداية. أتراه يتوقع المتابعة من حيث توقفا بعد هذا الحادث المفاجئ؟

ابتلعت غابرييلا غصة في حلقها بصعوبة، وهي تشعر أنها غير قادرة على مواجهة نظرات عيني روفوس.

- ربما من الأفضل لنا أن نبحث بهذا الأمر في المنزل، في وقت لاحق هذا المساء.

ليس هناك ما يدعو للبحث بشأنه. كما يبدو، هما لا يستطيعان أن يمضيا أكثر من نصف ساعة برفقة بعضهما البعض من دون أن يتعانقا، وكل الكلام في العالم لن يغير ذلك!

نظر روفوس إلى غابرييلا لعدة لحظات، وعلم أن لحظة الضعف مرت، وأن الواقع ألقى بثقله عليها بمرارة. بدا وجهها شاحباً الآن وعيناها واسعتين، وهناك إحساس أكيد بالضياع والحيرة فيهما.

هز رأسه وقال: «إذاً إلى وقت لاحق».

أكدت بنبرة مبحوحة: «أجل».

لم تزل غابرييلا غير قادرة على النظر إليه، أما روفوس فيريدها أن تنظر اليه.

مدّ يده ليمسك بذقنها ويرفع وجهها نحوه. نظر بقوة إلى عينيها المنذهلتين، وقال لها بحنان: «نحن بحاجة لنتكلم، غابرييلا».

بدت أكثر انذهالاً، ثم أصبحت نظرة عينيها قلقة وحائرة وهي

تقول: «لماذا؟».

لوى شفتيه قبل أن يبتسم ابتسامة خالية من المرح، ويقول: «عما حدث الآن... كبداية».

ما حدث الآن! تعلم أنه يقصد هذه الاستجابة المطلقة التي لا يمكن السيطرة عليها من قبلهما، وهي لا تريد التحدث عن الأمر. لا قيمة لما سيقولانه مع كل تلك العداوة والكره بينهما، ومن المؤكد أن ليس هناك من وسيلة لتشرح له ما تشعر به نحوه.

ابتعدت قليلاً لتتمكن من التخلص من قبضة يده. رفعت رأسها بتحدٍ، وقالت كأنها تتحدث عن أمر تافه لا قيمة له مطلقاً: «إنه مجرد انجذاب حسي، روفوس!».

ظهر الضيق على ملامح وجهه، وضاقت نظرته بشكل خطر حقاً.

قال محذراً: «علي الذهاب غابرييلا، لكننا سنتحدث بدون شك».

بعدئذٍ سار إلى الخارج بخطى واسعة وبتصميم قوي.

انتظرت غابرييلا حتى غاب قبل أن تستسلم للدموع التي لم تعد قادرة على السيطرة عليها أكثر. إذ أدركت وهي تشعر بألم حارق أنها ما زالت تحبه! كانت مغرمة بروفوس منذ خمس سنوات، وهي ما زالت مغرمة به حتى الآن.

كيف ولماذا، لا يشكلان أي أهمية لديها، فالحقيقة هي أنها ما زالت مغرمة به بجنون، وهذا الحب لن يتمكن روفوس من مبادلتها إياه الآن، تماماً كما كان غير قادر على مبادلتها إياه منذ خمس سنوات مضت.

٦ - خصام بعد وئام

- إذاً، ذهبت مباشرة وتزوجت به.

استدارت غابرييلا بقوة ما إن سمعت ذلك الصوت الساخر.

كادت تفقد توازنها مرة ثانية، عندما وقفت من جديد عند أعلى السلم.

حيّته بازدراء قائلة: «طوبي!».

ضاقت نظراتها وهي تحدق به.

بدا طوبي وسيماً كالعادة وهو يرتدي سروال جينز باهت اللون وقميصاً سوداء قصيرة الكمين تحت سترة من الجلد بنية اللون. صحيح أن طوبي طويل، أسمر البشرة ووسيم جداً، لكنها كالعادة لا تشعر بقربه أو نحوه إلا بالبرودة المطلقة.

سألته ببرودة وهي تنزل درجات السلم: «ما الذي تريده؟».

قال باستياء: «جئت لأقدم تهاني الحارة، بالطبع!».

ثم أضاف بنبرة واثقة بهدف إزعاجها: «ولكي أسألك إن كنت تستمتعين بكونك أصبحت زوجة ابن خالي العزيز روفوس!».

لوت غابرييلا شفتيها باستهزاء، وقالت: «ولماذا تعتقد أنني قد أهتم بإخبارك أي شيء عن روفوس أو عن أي شخص آخر؟».

رفع طوبي كتفيه بلا اهتمام وأجاب: «ولِم لا؟».

أسرعت بالرد وهي مقطبة الجبين: «كيف يمكنك أن تسأل ذلك بعد ما فعلته بي؟».

صحح لها بخفة: «ما حاولت أن أفعله غابرييلا . . . إنها غلطتك لأنك قررت أنك لست مهتمة بي».

اتسعت عيناها دهشة لوقاحته. أكدت له بقوة: «لم أكن يوماً مهتمة بك بهذه الطريقة، طوبي».

رفع كتفيه من جديد، وأجاب ببرودة، وكأن ما حدث لا قيمة له: «إذاً، تلك كانت غلطتي، لكن لا يمكنك أن تلومي رجلاً على إقدامه على المحاولة».

أجابت بغضب وبصوت حاد: «آه! بلى، أستطيع ذلك».

- لماذا لا تصفحين وتنسين الماضي، غابرييلا؟

تابع طوبي بنبرة هادئة: «أؤكد لكِ أنني نسيت فعلاً ما حدث».

اتسعت عيناها غير مصدقة ما تسمعه. هل نسي أنه أتى إلى غرفة نومها منذ ثلاثة أشهر، عندما كانت في زيارة لجيمس في منزل غريشام لتمضية عطلة الأسبوع برفقته، وحاول التحرش بها؟ هل نسي أنه عانقها، ورماها على السرير، وهو يتمتم بكلمات بذيئة وفاحشة في أذنها؟

الحمد لله إن جيمس تمكن من الدخول إلى غرفتها، ووضع حد نهائي له. نتج عن ذلك حرمان طوبي من دخول منزل غريشام مرة ثانية.

أمرته بصوت متأجج بالغضب: «اخرج من هنا، طوبي! فقط، ارحل».

- ألا تحبين أن تسمعي كيف يمكنك وضع حد نهائي لزواجك من روفوس الآن، مع الاحتفاظ بخمسة وعشرين مليون جنيه بين يديك؟

قال ذلك باعتداد بنفسه وهو يسحب كرسياً، ثم يجلس عليه.

هزت غابرييلا رأسها، وقالت: «أنا لست مهتمة بأي شيء يمكن أن تقوله».

- لكنك لم تسمعي بعد.

قاطعته باستياء قائلة: «قلت لك، أي شيء».

هي تعلم أن أي شيء قد يقترحه طوبي، سوف يعني - بدون أي شك - أخباراً سيئة لأحدهم. في هذه الحالة، يبدو أن تلك الأخبار السيئة ستتعلق بروفوس.

سألته بنبرة لاذعة: «كيف علمت أنني وروفوس تزوجنا؟».

رفع طوبي كتفيه بلا مبالاة، ثم أجاب وهو يبتسم: «مجرد اتصال هاتفي لدايفيد بروستر. هذا كل ما قمت به. بدا سعيداً بإخباري أنكما قررتما الزواج من أجل تنفيذ وصية خالي جيمس. راودني انطباع خفي أن ذلك المحامي الشهير غير معجب بي، وأنه لا يوافق على استلامي الثروة كلها».

علقت غابرييلا بازدراء: «لا يمكنني أن أتخيل سبب إحساسك هذا. أفترض أنك المسؤول عن تواجد الصحفيين في مكتب الأحوال الشخصية ذلك النهار».

إنها متأكدة أن دايفيد بروستر لم تكن لديه أي فكرة عن نية طوبي باستغلال تلك المعلومة عن زفافهما.

رفع كتفيه بلا مبالاة، وعلق بمرح: «مجرد نكتة صغيرة من قبلي. بما أنني أعرف شعوركما أنت وروفوس تجاه بعضكما البعض، فكرت أن التقاط صور تجمعكما في إحدى الصحف سيبدو أمراً مضحكاً».

تصلبت غابرييلا من شدة وقاحته.

- وكيف نشعر تجاه بعضنا البعض؟

أعلن طوبي بفرح وانتصار: «بالنسبة إلى روفوس، ازدراء مطلق. الأمر واضح جداً. أما بالنسبة لك، فأعتقد أن هناك عدم ثقة وقلقاً حياله».

حسناً! من الواضح أنه محق جداً بشأن مشاعر روفوس حيالها، لكنه مخطئ بشكل مطلق بشأن مشاعرها تجاه روفوس، فما تشعر به نحوه

اكتشفته بنفسها منذ وقت قصير جداً. قالت بلا اكتراث: «هذا أمر لا يعنيك مطلقاً. أليس كذلك، طوبي؟ وأعتقد أنني طلبت منك الرحيل».

أجاب بنفاد صبر: «وأعتقد أنني أخبرتك أن لدي عرض عمل لك».

- عرض عمل لا رغبة لي مطلقاً في معرفته أو التحدث عنه.

- لا تقولي ذلك حتى تسمعي العرض.

أكدت له غابرييلا بقسوة: «لست بحاجة إلى سماع أي شيء، فأي عرض عمل ستقترحه لابد أن يكون مشبوهاً».

- ما تقولينه مضحك بالفعل.

تنهد بنفاد صبر بسبب عنادها، قبل أن يتابع: «في الواقع غابرييلا، كل ما عليك القيام به هو أن تخرجي من هذا الزواج من روفوس، معطلة الشرط المتعلق بالأشهر الستة، وعندما أرث كل شيء سأعطيك نصف الميراث».

لقد توصل فعلاً إلى إيجاد وسيلة للحصول على الميراث. أليس كذلك؟

تابع مقترحاً بصوت أجش: «بعد ذلك يمكننا نحن الاثنان أن نتزوج إن رغبت بذلك، فأنا ما زلت أرغب بك، غابرييلا».

شهقت غير مصدقة وقاحته. قالت: «أفضل البقاء متزوجة من روفوس، الذي لا يحمل إلا الازدراء والكره لي، على أن اتزوج بك يوماً!».

تمتم طوبي وهو يقف ويتقدم خطوة نحوها: «ما تقولينه الآن ليس لطيفاً، غابرييلا».

قالت محذرة وقد اتسعت عيناها من الترقب:

- لا تقترب أكثر!

أجاب متحدياً بنبرة مليئة بالثقة بالنفس: «وإلا ماذا؟».

- أنا أحذرك، طوبي.

حدقت به بغضب، وهي لا تملك أي فكرة عما ستفعله إن لم يتوقف.

إن صرخت طلباً للمساعدة ستحدث جلبة وحدثاً لا ينسى في شركة غريشام، حباً بالله! ماذا ستفعل؟ مهما كلفها الأمر، لن تسمح لهذا الرجل بالاقتراب منها، فهو يثير اشمئزازها أكثر من أي شخص آخر. وكما يبدو هو يعتقد أن ما حدث منذ ثلاثة أشهر ليس إلا مجرد نكتة سمجة.

قال يغيظها: «ما الذي ستفعلينه الآن، غابرييلا؟ الخال جيمس ليس هنا ليحميك مني هذه المرة».

ظهرت القسوة على ملامح وجهه وهو يتابع: «بعد التفكير بالأمر، أرى أنك السبب المباشر لحرماني بشكل مطلق من ميراثه. أعتقد أنه يجدر بك أن تكوني أكثر لطفاً معي، مما أنت عليه».

علمت غابرييلا بالتحديد ما الذي يقصده بعبارة «أكثر لطفاً». مجرد التفكير بمعانقة هذا الرجل يجعلها تشعر بالغثيان والدوار.

- هذا ألطف ما يمكنك الحصول عليه مني، طوبي.

بالرغم من ارتجاف نبرة صوتها، لأنها تشعر بالارتباك والقلق من شدة قربه منها، تابعت مؤكدة له بحزم: «والآن عليك أن ترحل. إن وجدك روفوس هنا، فذلك سيسبب المزيد من المشاكل بينكما».

قال محاولاً إقناعها: «أريد أن نرجع صديقين كما كنا، غابرييلا».

لم يكونا يوماً صديقين، بل مجرد فردين من العائلة. كل منهما هو بالنسبة إلى الآخر شخص يجده الآخر قادراً على التحدث معه في كل مناسبة عائلية، لكن بعد التصرف السيء الذي أقدم عليه، لم يعد بينهما حتى ذلك الحديث العابر.

قالت غابرييلا بإصرار: «قد يأتي روفوس إلى هنا في أي لحظة، ويجدك هنا».

والله وحده يعلم ما الذي سيظنه إن رآهما معاً.

- عليك أن تذهب من هنا، طوبي!

ابتسم طوبي ابتسامة الواثق بنفسه، وقال بغرور: «لا يخيفني روفوس مطلقاً».

قال روفوس متحدياً بنبرة باردة كالثلج: «أحقاً؟».

ثم رفع الستارة ليدخل المطعم. جالت نظراته القاسية بدون أي رحمة على غابرييلا وطوبي معاً. ملامح وجهه الغامضة لم تظهر شيئاً من إحساسه الداخلي حيال الكمات المقتضبة التي سمعها من النقاش الدائر بينهما قبل وصوله. في الواقع، لم يكن متأكداً بشكل قاطع مما سمعه.

كانت غابرييلا تتوسل طوبي ليرحل. لكن هل كانت تفعل ذلك لأنها فعلاً تريده أن يرحل، أم لأنها لا تريد المخاطرة بأن يجدهما معاً هنا؟

لمجرد أنها تسيطر على تفكيره بالكامل لا يعطيه سبباً ليشك بالرأي الذي كونه عنها دائماً بأنها باحثة عن الذهب. كما أن مجرد التفكير أنه قادر على التأثير بها تماماً كما تفعل به، لا يعطيه سبباً ليعتقد أنها بدلت أهدافها الحقيقية.

والآن وجدها هنا مع طوبي. ربما هذا أفضل، كي لا يدع رغبته بها تعميه عن رؤية الحقيقة دائماً! ابتسم طوبي قائلاً: «أعطِ الرجل فرصة، روفوس! أنا وغابرييلا كنا صديقين قبل فترة طويلة من إجراء هذا الزواج المزيف. تخاصمنا منذ ثلاثة أشهر، وهي غاضبة مني إلى درجة جعلتها توافق على الزواج بك كما يبدو، لكن هذا كل شيء».

حدقت غابرييلا به بغضب، وقالت: «هذه كذبة! روفوس، بالتأكيد أنت لا تصدق كلمة مما قاله. أليس كذلك؟».

تنهدت بحزن وفقدان صبر.

لم يعلم روفوس ما الذي عليه أن يصدقه الآن، فمشاعره القوية تجاه

غابرييلا تجعل حكمه غير صائب.

رمى ابن عمته بنظرة باردة كالثلج وهو يقول: «أعتقد أن عليك أن تأخذ بنصيحة غابرييلا وترحل، طوبي! وإذا رغبت برؤية زوجتي ثانية، أقترح عليك أن تنتظر ستة أشهر قبل أن تفعل ذلك».

أكمل بنبرة مليئة بالقسوة والضيق: «كما أنها ستصبح ثرية جداً مع الخمسة والعشرين مليون جنيه حينها».

شهقت غابرييلا قبل أن تقول: «روفوس! بعد أن أخبرتك كم أكرهه، لا يمكن أن تصدق أنني ارتبطتُ مع طوبي يوماً».

لكنها ترى بوضوح أن هذا ما يظنه، فروفوس الودود الذي عرفته خلال الساعات الأخيرة الماضية حل مكانه روفوس المتكبر البارد، وخصمها الذي يستمتع بافتراض الأسوأ عنها دائماً.

ما مقدار الكلام الذي سمعه من نقاشها مع طوبي؟ من الواضح أنه سمع توسلها لطوبي كي يرحل قبل أن يجده روفوس هنا، ولابد أنه أساء فهم سبب توسلها.

هي لم تطلب من طوبي الرحيل لأنها تهتم به، فهي تعلم أنه قادر على الاعتناء بنفسه. في الواقع، خشيت غابرييلا على المعاهدة الهشة التي توصلت إليها مع روفوس اليوم، وهذا ما حدث بالضبط، وخير دليل على ذلك تلك النظرة الباردة التي يرمقها بها.

هزت رأسها بقوة وهي تقول: «روفوس! لا يمكن أبداً أن...».

قاطعها طوبي: «وفري أنفاسك، غابرييلا. ألا ترين أن روفوس لا يصدق كلمة مما تقولينه؟».

طوبي على حق، فروفوس لا يصدقها. أدركت غابرييلا ذلك وهي تنظر إليه متسائلة، غير أن وجهه الوسيم بدا قاسياً ولا يعبر عن أي شيء، وهو يحدق إليها ببرودة.

كيف يمكنها أن تجعله يرى الحقيقة؟ وكيف ستتمكن من إقناعه كي

يصدقها. بالطبع هي لا تستطيع، لأن روفوس الذي تنظر إليه الآن لا يريد أن يصدقها.

قال روفوس للشاب الأصغر منه ببرودة: «من الأفضل أن ترحل، طوبي».

رفع طوبي كتفيه باستخفاف، وعلت ملامح السخرية وجهه، فيما قال متحدياً: «فقط اتصلي بي غابرييلا، عندما تسأمين من معاقبتي على خلافنا السخيف. فكري فقط ماذا نستطيع أن نفعل بخمسين مليون جنيه بعد أن نتزوج».

أضاف بعد لحظات بهدوء مصطنع، محاولاً مضايقة روفوس بعد أن لاحظ ملامح وجهه الجامدة كالحجر: «آه! أجل، روفوس. طلبت من غابرييلا أن تتزوج بي».

علق روفوس: «من الصعب عليها أن تفعل ذلك ما دامت متزوجة بي».

لم يهتم طوبي لما سمعه، بل قال بثقة: «زواج من السهل جداً التخلص منه، وعندما يحدث ذلك، ستصبح غابرييلا زوجتي».

ابتسم قبل أن يتابع: «أترى، روفوس؟ لا يمكن لغابرييلا أن تخسر في الحالتين. أليس كذلك؟».

قال روفوس بنبرة غاضبة من بين أسنانه: «ارحل!».

إنه غاضب إلى درجة تجعله راغباً بأن يمد يديه ويخنق ابن عمته أو غابرييلا. هو حقاً لا يهتم من سيختار!

رماه طوبي بنظرة ساخرة قائلاً: «ماذا تنوي أن تفعل؟ هل ستبقيها مربوطة بالسرير طوال الأشهر الستة القادمة؟».

أجاب روفوس بضيق: «أجل هذا ما سأفعله، إن احتاج الأمر لذلك».

لم يعد قادراً حتى على النظر إلى غابرييلا في تلك اللحظة. لا يمكن

أن يصف ما يشعر به الآن بخيبة الأمل. فبعد أن رأى كيف عملت بجهد لتزيل بقايا الزينة في المطعم هذا الصباح، والسحر الذي مارسته على فريق عمله أثناء الغداء، ثم استجابتها غير المحدودة له منذ دقائق قليلة، بدأ يتساءل إن كان قد أخطأ في الحكم عليها في نهاية الأمر، حتى إنه نسي أن كل ما يهم غابرييلا هو الحصول على الخمسة والعشرين مليون جنيه!

في الواقع، إن كانت حقاً متورطة مع طوبي، فإن طوبي على حق تماماً في ما قاله، سواء بقيت غابرييلا معه أم تزوجت من طوبي، فإنها هي الرابحة في الحالتين. علم أن غضبه يزداد بقوة، لأنه بدأ يشكك بالرأي الذي كونه دائماً عنها. حسناً! ليس بعد الآن. لن يسمح مطلقاً لانجذابه إليها بأن يعميه عما يعرفه عن حقيقة غابرييلا.

قال بقسوة: «أما زلت هنا، طوبي؟».

رفع ابن عمته كتفيه، وأجاب: «اعتقدت أنني إن بقيت قليلاً سوف أرى مشهداً يضرب الزوج فيه زوجته!».

جالت نظرة غابرييلا المندهشة بسرعة على ملامح وجه روفوس القاسية، فرأت النبض يتحرك بقوة عن أسفل فكه.

بالكاد تمكن روفوس من الابتسام عندما رأى الحيرة على وجهها وهي تحدق به. تباً! هو لم يضرب امرأة في حياته كلها، ولن يبدأ بالقيام بذلك الآن، حتى لو كانت غابرييلا تثير غضبه!

قال لابن عمته بازدراء: «ربما تكون تلك طريقتك في حل مشاكلك طوبي، لكنني شخصياً ضد العنف الجسدي مع أي كان».

ابتسم طوبي ليخفي امتعاضه: «أمر مؤسف. كما قلت لك، غابرييلا. فقط اتصلي بي عندما تشعرين أنك لا ترغبين بتحمل هذا الوغد المتفاخر للحظة أخرى، وأعدك أنني سأكون بانتظارك!».

ضغط روفوس قبضتي يديه إلى جنبيه، وهو يراقب طوبي يتمايل

مغادراً. علم أنه يكاد ينفجر من التوتر، وعلى الرغم من استهجانه وإنكاره للعنف، كان قريباً جداً من ضرب أحدهم في تلك اللحظة وهذا أمر لم يحدث له من قبل أبداً.

- روفوس!

- لا رغبة لي في التحدث عن هذا الأمر أكثر الآن، غابرييلا.

قال ذلك ببرودة وهو يستدير لمواجهتها. آه! إن جمالها ما زال يؤثر به، مع أنه مصمم على عدم الوقوع ضحية سحرها من جديد.

- أتيت إلى هنا لأخبرك أنني ذاهب إلى نيويورك لعدة أيام في مهمة مستعجلة.

هزّ رأسه بانزعاج وتابع: «ربما من الأفضل لي أن أبتعد عنك لفترة».

ربما هذا صحيح! تقبلت غابرييلا ذلك بيأس وأسى. سوف تفتقده، لكنها تكره الاعتراف بذلك، تماماً كما تكره حقيقة أن روفوس تمسك بوجهة نظره في ما يتعلق بها، بعد ادعاء طوبي أنهما كان مرتبطين ببعضهما.

في الوقت الراهن سوف يستمر روفوس في احتقارها.

الآن بعد أن أدركت أنها لا تزال تحبه، بات الأمر يتخطى الكبرياء الشخصي، لتثبت له أنه مخطئ بشأنها. سألته بتوتر: «هل ستتأخر هناك؟».

نظر إليها ببرودة، وقال بنبرة مليئة بالحقد والكراهية: «ما هذا غابرييلا، اهتمام زوجي؟ أم أنك تريدين أن تعلمي بكم سيحظى طوبي من الوقت، ليتمكن من إقناعك بخطته، قبل أن أعود؟».

هزت غابرييلا رأسها قائلة: «لا يستطيع طوبي إقناعي بأن أقطع الطريق برفقته».

تنهدت قبل أن تضيف وهي ترتجف: «في الواقع لو أن طوبي الرجل

الأخير على هذا الكوكب لما أعطيته لحظة من وقتي، فما بالك بالموافقة على الزواج منه».

ضاقت عينا روفوس وهو يحدق بها. بدا الاشمئزاز جلياً في صوتها. من المستحيل أن يكون هذا مجرد ادعاء. سألها بنبرة لاذعة: «ما الذي حدث غابرييلا، منذ ثلاثة أشهر؟».

نظرت إليه نظرة ملؤها الرعب، فيما اختفى اللون من وجهها، وهمست: «حدث...؟».

رفع روفوس كتفيه معلقاً: «غيّر والدي وصيته منذ ثلاثة أشهر لسبب ما، وادعى طوبي أنكما تشاجرتما منذ ثلاثة أشهر، من المنطقي الافتراض أن للأمرين صلة ببعضهما».

أجل... هناك صلة واضحة، لكنها صلة مؤلمة جداً. ابتلعت غابرييلا غصة في حلقها، مدركة أن لا جدوى من محاولة تجنب إخباره الحقيقة.

تنهدت قبل أن تقول بنبرة عميقة مضطربة: «كنت في زيارة لجيمس في منزل غريشام، وأتى طوبي لرؤية خاله. حاول أن... أتى إلى غرفة نومي مدعياً أنني كنت أشجعه لأشهر طويلة، وعندما أكدت له أنني لم أكن أفعل ذلك مطلقاً، حاول أن يجبرني...».

إنها أكثر التجارب رعباً في حياتها. لطالما أعطاها طوبي الانطباع بأنه شخص ساحر، لطيف، ومحترم، لكنه بدا شخصاً مختلفاً كلياً ذلك النهار، ولو لم يتدخل جيمس ويضع حداً له، فالله وحده يعلم ما الذي كان سيحدث.

تعمدت غابرييلا أن تبقى بعيدة عن طوبي منذ ذلك اليوم.

كرر روفوس بانتقاد واضح: «كنتما مرتبطين، لكنك تدعين أن طوبي حاول إجبارك؟».

قالت مدافعة عن نفسها: «لم نكن يوماً مقربين، ولم نرتبط مطلقاً.

إن أردت الحقيقة، لقد أرعبني حتى الموت تلك الليلة».

سخر منها قائلاً: «لماذا أجد من الصعب علي تصديقك؟».

بالطبع لأنه لم يصدقها يوماً. لم يصدق كلمة واحدة مما قالته، وهو يعاني من مشكلة أكبر في التصديق الآن، بعد أن رأى مدى استجابتها له.

لكنه روفوس، الرجل الذي تحب، وذاك طوبي، الرجل الذي تكره!

أصرت غابرييلا على متابعة الدفاع عن نفسها: «وضع والدك حداً لاعتدائه... ورماه خارج المنزل».

- وخارج وصيته أيضاً، كما يبدو.

قلب شفتيه مستغرباً وهو يتابع: «وماذا فعلت حينها، غابرييلا؟ لابد أنك ذرفت دموع التماسيح أو ربما كنت تخططين لأن أكون أنا ضحيتك التالية؟».

شهقت قائلة: «لا يمكنك أن تفكر على هذا النحو؟».

- لِم لا؟ من الواضح أن والدي اعتقد أنك مسكينة، ليس لديك من يحميك، وبسوء تقدير منه ربطني بك. يحتمل أنك اقترحت عليه ذلك بنفسك، عقاباً لي لأنني رفضت أن أقع ضحية سحرك.

وقفت غابرييلا باستقامة وكبرياء. لم تصدق أنها أخبرته بما حدث في الواقع، وهو ما زال يرفض أن يصدقها. قالت: «ليس دائماً».

أجاب روفوس باستياء: «لا، ليس دائماً. تبين أن الانجذاب بيننا يقودنا إلى علاقة حسية مميزة. أليس كذلك، غابرييلا؟».

حدق بها كأنه يتحداها أن تنكر شعورها بالانجذاب إليه تماماً كما هو لا يستطيع إنكار إعجابه بها.

تباً! لم يثق روفوس يوماً لامرأة كما يثق إليها. هو ما زال كذلك، حتى بعد معرفته حقيقتها.

ابتلعت غابرييلا غصة في حلقها بصعوبة. هي تعلم أن من السخرية

أن تحاول إنكار تأثرها بروفوس، وتعلم أيضاً أن من السخرية أيضاً أن يدعي أي منهما أن لا مجال لإقامة علاقة حميمة بينهما من جديد، فردة فعلهما وهما معاً لا يمكن التنبؤ بها أو حتى كبحها.

اعترفت هامسة: «أجل! ما تقوله صحيح».

- بعد أن أعود من نيويورك، قد أشعر بالرغبة في الاهتمام بذلك الجزء من زواجنا ثانية.

أطلق زفرة قبل أن يكمل بغضب: «أما الآن، فاقترح عليك أن تبقي بعيدة عن طوبي طوال فترة غيابي».

وكأن هذا أمر يصعب عليها القيام به!

إن تحدثت مرة أخرى مع طوبي، فلا بد أن يكون السبب رغبتها بأن تخبره بالتحديد عن رأيها به وبأكاذيبه.

- الآن، أنا فعلاً بحاجة للعودة إلى العمل، فلدي عدد من الأعمال التي يجدر بي تنظيمها قبل أن أسافر في وقت متأخر من هذا المساء.

شعرت غابرييلا بحزن شديد لافتراقهما بهذه الطريقة الجافة. قال إنه سغيب لعدة أيام، لكن ماذا يعني بالتحديد، يومان؟ ثلاثة؟ أربعة؟ أم أسبوع كامل؟

يا إلهي! كم تكره نفسها لضعفها الشديد بسبب حبها له والشوق إليه بطريقة لا تحتمل، في حين أنه لا يبادلها الشعور نفسه، ولن يفعل ذلك أبداً.

قالت عندما أصبح قرب الباب: «ماذا تريدني أن أقول لهولي؟».

استدار على الفور قائلاً بضيق: «لا أريدك أن تخبري هولي أي شيء».

أكد لها ببرودة وهو يتابع: «عليّ الذهاب إلى المنزل لأحضر حقيبة السفر، كما أنني أكثر من قادر على التعامل مع ابنتي بنفسي».

بكلمات أخرى، هذا الجزء من حياته لا شأن لها به مطلقاً.

٧ - وداع عاصف

سمعت غابرييلا كم أن روفوس قادر على التعامل مع هولي بنفسه، ما إن دخلت منزل غريشام في وقت متأخر من بعد الظهر.

سمعت هولي تقول كأنها تتهمه: «أخبرتني أنني أستطيع الذهاب معك عندما تذهب إلى نيويورك».

أجاب روفوس بنفاد صبر: «لأنني اعتقدت أنني لن أذهب قبل الشهر القادم، أثناء عطلة منتصف السنة الدراسية».

علا صوتاهما بما فيه الكفاية لتسمعهما غابرييلا وهي تمر أمام غرفة الجلوس.

سألته هولي بغضب: «لِم لا تذهب الشهر القادم؟».

أجاب روفوس بحزم وبنبرة لا تقبل الجدل: «لأنني لا أستطيع».

تساءلت غابرييلا، هل تدخل لتصلح الأمر بينهما، أم أن عليها أن تتركهما بمفردهما؟

فكرت أن ما حدث في الشركة جعل مزاج روفوس سيئاً، ومن المحتمل أن يندم روفوس على موقفه منها ما إن يغادر المنزل، لذا من الأفضل ألا تتجاهل ما يحدث. لكنها علمت أيضاً أنها إن تدخلت، فمن المؤكد أنها ستصبح مصدر الإزعاج والضيق لهما معاً. حسناً! ما الجديد في ذلك؟

فتحت باب غرفة الجلوس. رأت روفوس وهولي يحدقان بغضب ببعضهما عبر الغرفة كأنهما عدوان. بدوا متشابهين جداً في تلك

اللحظة، لدرجة أن غابرييلا شعرت بقلبها يعتصر في صدرها. هولي طويلة جداً بالنسبة لفتاة من عمرها، وهي تملك شعراً باللون الأشقر الداكن نفسه كشعر والدها، وعينين تشبهان عيني والدها الخضراوين، أما خداها الأبيضان فيعلوهما لون أحمر من شدة الغضب، وهذا ما تعلم روفوس السيطرة عليه ما إن أصبح راشداً.

كما توقعت غابرييلا، استدارا معاً، وحدقا إليها بعيونهما الخضراء بغضب واضح. سألت بهدوء: «هل أستطيع القيام بأي شيء للمساعدة؟».

قالت لها هولي بغضب وثورة: «لا!».

علق روفوس بشكل مفاجئ: «لا تكوني فظة مع غابرييلا، هولي!».

أجابت هولي مدافعة عن نفسها: «لِم لا؟ فأنت تفعل ذلك!».

رفعت غابرييلا حاجبيها السوداوين بسخرية، ما إن أجفل روفوس من انتقاد ابنته الصريح. أما روفوس فقطب جبينه. هو لا يذكر أنه تصرف لمرة بطريقة مسيئة لغابرييلا أمام هولي، لكن ربما اختياره البقاء خارج المنزل [illegible] نهاية الأسبوع بدلاً من قضاء الوقت بقرب عروسه، كان [illegible] النفور الذي يسود علاقتهما.

في الواقع، ذلك ليس نفوراً على الإطلاق. إنه مجرد مجهود بذله ليتجنب إظهار الشوق الكبير الذي يشعر به نحوها.

لوى شفتيه باستياء، ثم قال لابنته بهدوء: «ما قررنا أنا وغابرييلا أن نفعله كراشدين، أمر لا يعنيك مطلقاً، هولي».

بدأت هولي بالبكاء، وهي ترجع إلى موضوع شجارهما: «أنت تحنث بوعدك بشأن اصطحابي معك إلى نيويورك».

قال روفوس بضيق مدافعاً عن نفسه: «لا، لست كذلك».

إنه يستمر بالجدال مع ابنته منذ عشر دقائق ولم يصل إلى أي نتيجة بعد.

يا للنساء! إنهن بعيدات عن التحلي بالمنطق حتى لو كنّ في السابعة من عمرهنّ. قرر روفوس ذلك بضيق.

علقت غابرييلا بهدوء: «أنا متأكدة أن هناك سبباً هاماً جداً يمنع والدك من أخذك معه هذه المرة، هولي».

نظر روفوس إليها باستياء. بعد الطريقة التي تركا بعضهما فيها بعد ظهر هذا اليوم، وجد دفاعها عن تصرفاته أمام ابنته أمراً مفاجئاً له.

أجابت هولي بغضب: «على الأقل هو لن يأخذك أنت أيضاً».

- هولي!

أجابت غابرييلا بهدوء: «أنت على حق، وهذا يعني أن بإمكاننا، أنا وأنت، أن نمضي هذه الأيام القليلة معاً لنتعرف على بعضنا بصورة أفضل».

تهجمت هولي عليها قائلة: «لا أريد أن أتعرف عليك بطريقة أفضل».

قال روفوس بغضب: «هولي! ستعتذرين الآن وعلى الفور».

أجابت ابنته بنبرة ثائرة: «لن أفعل».

أكد لها بحزم: «بل ستفعلين، والآن».

رمت هولي غابرييلا بنظرة حاقدة، ويبدو أنها أدركت أنها بالغت كثيراً. تمتمت بنبرة تخلو من أي عاطفة: «آسفة، لكن لا يمكنها أن تخبرني ماذا أستطيع أن أفعل أو لا أفعل».

- هولي، كفى!

وصل روفوس إلى آخر ما لديه من قدرة على الصبر، لكن هولي هي نقطة ضعفه. هو لا يستطيع أن ينسى حقيقة أن أمها تخلت عنها وهي طفلة صغيرة، لذا حاول أن يعوضها عن ذلك الحرمان، ومن المحتمل أنه بالغ في ذلك.

في الواقع، أصبحت ابنته تدرك أيضاً أنها نقطة ضعفه.

- تحاول غابرييلا أن تكون لطيفة معك، مع أنك لا تستحقين ذلك كما يدل تصرفك هذا.

الله وحده يعلم سرّ هذا العرض من الود والتصرف بحكمة!

أضاف باستياء: «ما رأيك لو أحضرت لك هدية معي عندما أعود من نيويورك؟».

قال ذلك لأن هولي ما زالت تكور فمها باستياء.

نظرت الطفلة إليه بشك، وقالت: «أي نوع من الهدايا؟ الشيء الوحيد الذي أريده هو المهر، وأنت تعرف ذلك».

أجابت غابرييلا بمنطق: «من الصعب أن يحضر لك والدك مهراً من نيويورك. أليست عودة والدك سالماً أفضل من أي هدية؟».

نظرت هولي إلى غابرييلا بشك، وأجابت: «أجل... بالطبع، لكن...».

ابتسمت غابرييلا ابتسامة كبيرة لروفوس قائلة: «أرأيت روفوس! هولي لا تريد هدية هذه المرة».

اعترضت هولي على الفور: «لم أقل ذلك».

علقت غابرييلا بحزم: «أنا متأكدة أن والدك سيكون منشغلاً جداً في هذه الرحلة، ولن يتمكن من التجول لشراء هدية لك، أليس كذلك، روفوس؟».

لم يعد روفوس متأكداً أنه قادر على متابعة النقاش الآن، ما عدا أن غابرييلا لا توافق - كما يبدو بوضوح - على إحضار هدية معه لهولي من نيويورك من أجل تسوية النزاع بينهما.

من المؤكد أن تصرف هولي حتى الآن لا يمت إلى التهذيب والأخلاق الحسنة بصلة، لكنه لم يذهب مرة في رحلة عمل من دون أن يحضر هدية لها عند عودته. مع أنه ممتن ولو على مضض من غابرييلا لإنهائها الشجار بطريقة ما، لكن تدخلها تجاوز الحدود بإخباره ما الذي

عليه أن يفعله في مثل هذه الأمور.

أضافت غابرييلا: «أعتقد أن لديك الوقت الكافي لتصعدي إلى غرفتك وتغتسلي قبل تناول الشاي، هولي».

رمتها هولي بنظرة مشككة مرة أخرى. من الواضح أن الطفلة لم تعد متأكدة - بعد توبيخ والدها لها - مما يجب أن تفعله الآن.

هذا هو هدف غابرييلا، فهولي فتاة لطيفة، وجميلة جداً في الواقع، لكن ما بدا واضحاً جداً لغابرييلا في غضون الدقائق الأخيرة هو أنها أيضاً مدللة جداً لدرجة الإفساد!

بالطبع، هذه ليست غلطة هولي. من المحتمل أيضاً أنها ليست غلطة روفوس بشكل مطلق. في النهاية، هو يبذل قصارى جهده لتربية هولي بمفرده طوال السنوات السبع، وهذا ليس عملاً سهلاً بالنسبة إلى رجل وحيد، لاسيما أنه اعتاد أن يمطر ابنته بالهدايا عبر السنين ليحافظ على السلام بينهما.

تعلم غابرييلا أن أمها ما كانت لتقبل مطلقاً بتصرف كهذا منها، وهي لا تعتقد أن روفوس يتقبل هذه التصرفات من هولي أيضاً، بغض النظر عن مقدار حبه لابنته.

بالنسبة إلى رجل عنيد ومتمسك برأيه في أمور أخرى في حياته، لاسيما عندما يتعلق الأمر بها، من الواضح أنه يصاب بالعمى عندما يتعلق الأمر بابنته.

أضافت بنعومة: «أعتقد أنك تدينين لوالدك باعتذار قبل أن تغادري، هولي».

بدت هولي أكثر ارتباكاً. من الواضح أنها لم تتعرض يوماً لمثل هذا التأنيب من قبل. نظرت على الفور إلى والدها كأنها بحاجة إلى مرشد.

لم يكن لدى روفوس أي فكرة عما سيفعله في هذا الوضع. في الحقيقة كان يفضل لو أن شيئاً من هذا لم يحدث.

في هذه اللحظة هو ما زال غاضباً من غابرييلا بسبب لقائها مع طوبي، وما زال لا يعلم إن كان اللقاء مدبراً أم حدث بالصدفة، ولا يدري إن كان عليه تصديقها بشأن ما حدث منذ ثلاثة أشهر. بدت غاضبة جداً بشأن ما حدث، كما أن اشمئزازها من طوبي بدا كبيراً جداً أيضاً.

كل ما في الأمر أنه لا يملك الوقت الكافي قبل سفره إلى نيويورك كي يذهب ويتحرى عن الأمر، ليدرك إن كانت قد أخبرته بالحقيقة. والآن هذا الشجار مع هولي انفجر في وجهه بدون أي إنذار.

عليه أن يذهب إلى نيويورك. هذا أمر لا مفر منه، كما أنه لا يرغب في اصطحاب هولي إلى هناك. إن أراد الاعتراف بالحقيقة لنفسه، فإن انجذابه القوي نحو غابرييلا والشك المتبادل بينهما يجعلان رحيله أكثر صعوبة عليه مما كان من قبل.

في الواقع، جزء منه يريد أن يقول لتذهب المشاكل إلى الجحيم، وهكذا يتمكن من اصطحابها معه. هو ليس بحاجة إلى تبرير ليفعل ذلك. بإمكانه بكل بساطة أن يستعمل سلاح إبقائها بعيداً عن طوبي كتبرير واضح لطلبه.

لكن ما إن يصبحا في نيويورك، لاشك لديه أنه لن يستطيع الابتعاد عنها في الأربع والعشرين ساعة الأولى لوصولهما، وهذا يتعارض مع سبب حاجته إلى الذهاب بسرعة إلى هناك.

حسناً! مهما كانت رغبته شديدة في اصطحابها معه، فهو لا يستطيع القيام بذلك.

إنه لا يستطيع أن يفهم سبب تدخلها المتعمد في معضلته مع هولي، وهو الذي ظن أنها سوف تستمتع برؤية عدم قدرته على التعامل مع ابنته.

قالت غابرييلا بحزم مرة ثانية: «ما زال والدك ينتظر، هولي».

ابتلعت هولي غصة في حلقها بصعوبة، ورمقت غابرييلا بنظرة مليئة بالحيرة قبل أن تستدير لتبتسم لوالدها بحزن.

قالت بنبرة مضطربة: «آسفة أبي! بدوت فظة معك قبل قليل».

استدارت من جديد لتحدق بغابرييلا، وتتابع بنبرة ثائرة: «لكن إن كان أبي سيسافر لعدة أيام، فهذا لا يعطيك الحق بأن تصدري لي الأوامر، أو أن تقولي لي ماذا يجب أن أفعل».

أكد لها روفوس بحزم: «آه! بلى تستطيع، هولي».

قطبت هولي جبينها، وهي تنظر إلى والدها وتقول: «لكن، أبي...!».

قاطعها روفوس بنبرة حازمة قائلاً: «إن طلبت منك غابرييلا أن تفعلي شيئاً ما أثناء غيابي، فأنا أتوقع منك أن تفعلي بدون أي شجار».

- إنها ليست أمي!

- لا! لكنها امرأة راشدة، وهي تعيش في هذا المنزل.

تابع بنبرة حاسمة: «وبما أنها كذلك، ستعاملينها بالاحترام الذي تستحقه».

راقبت غابرييلا هولي وهي تعاني من صراع داخلي مع نفسها لعدة لحظات، غير متأكدة إن كان عليها الاستمرار في الشجار أم لا. بعدئذٍ استدارت على عقبيها، وخرجت من الغرفة راكضة. علمت غابرييلا أنها لم تذهب كي تغسل يديها قبل تناول الشاي!

قالت غابرييلا بصوت أجش: «شكراً لك».

قطب جبينه بارتباك، وقد علا الشحوب وجهه بسبب شجاره مع ابنته الصغيرة.

- علامَ تشكرينني؟

- لأنك لم تقلل من اعتباري أمام هولي.

رفعت كتفيها وهي تتابع: «لاسيما أنني أعرف شعورك نحوي. أنا

متأكدة أنك لم ترِد القيام بذلك، لكنني كنت لأخسر هولي كلياً لو أنك وقفت بجانبها».

هولي مثل أمها تماماً. تلجأ إلى البكاء أو المشاغبة عندما تفشل في الحصول على ما تريده. لاشك أنها غلطته!

تقبل روفوس ذلك بضيق. في الواقع هولي حرمت حنان الأم وهي ما تزال طفلة، ما دفعه إلى أن يسرف في تدليلها لتعويضها عن ذلك الحرمان.

نظر بحذر إلى غابرييلا، فهو لا يزال متفاجئاً لأنها أظهرت الاهتمام بهولي.

قال بمرارة: «وما هو شعوري نحوك؟».

ابتسمت قائلة: «ربما من الافضل أن نتجنب الحديث عن هذا الموضوع الآن».

وافقها الرأي قائلاً: «ربما!».

نظر إليها من بين جفونه شبه المطبقة، وتابع: «لكنني فهمت من تلميحاتك أنك تعتقدين أنني أفسدت هولي».

رفعت غابرييلا كتفيها، وقالت بهدوء: «إنها في السابعة من عمرها روفوس، لكن إن استمريت في معاملتها على هذا النحو ستتحول إلى فتاة جشعة جداً عندما تصبح في السابعة عشرة من عمرها!».

لوى روفوس شفتيه باستياء، وأجاب: «وأنت تعرفين كل شيء عن هذا الأمر. أليس كذلك؟».

تصلب جسد غابرييلا. يبدو أن أي نقاش بينهما مهما كان نوعه، حتى لو تعلق بابنته المدللة، لن يمر من دون أن يوجه لها روفوس انتقاداته وكلامه اللاذع.

نظرت إلى عينيه، وقالت بنبرة ثابتة: «بحسب وجهة نظرك، السبب الذي جعلني جشعة وباحثة عن الذهب في السابعة عشرة من عمري هو

أنني لم أكن مدللة بما فيه الكفاية وأنا طفلة!».

- لا أعتقد أنني قلت بالتحديد: عندما كنت في السابعة عشرة من عمرك.

ثم سألها بضيق: «أين اختفيتِ من جديد بعد ظهر هذا اليوم؟».

ألقى السؤال عليها من دون أي مقدمات، ما جعل غابرييلا تجفل من الصدمة. تورد وجهها بسبب تحديقه بها.

سألته ببطء: «كيف علمت أنني غادرت باكراً؟».

أكد لها بتسلطه المعهود: «أنت تعملين في غريشام الآن غابرييلا، وقلما تحصل أمور هناك من دون علمي».

- ولماذا تريد أن تعلم؟

تملصت من الجواب، مع أنها تعلم أن روفوس يعتقد أنها ذهبت للقاء طوبي من جديد، لكن لا رغبة لديها في إخباره إين كانت في الواقع. ذلك أمر يخصها وحدها الآن، وروفوس سيعرف به في الوقت المناسب، عندما تقرر هي ذلك.

ضغط على أسنانه قبل أن يقول: «لا تحاولي القيام بأي ألاعيب معي، غابرييلا! مهما كان ما قاله لك طوبي بعد ظهر هذا اليوم، فأنت لن تربحي أي شيء معي».

تنهدت قائلة: «هذه ليست مبارزة، روفوس!».

- أنت على حق! نحن لسنا في مبارزة، لكن إن وقفت مع طوبي ضدي، سأعمل على ربطك بي من خلال المحاكم حتى تصبحي في الثمانين من عمرك، قبل أن تتمكني من الحصول على إرثك.

تنفست غابرييلا بعمق قائلة: «أخبرتك قبل الآن عن شعوري تجاه طوبي، أوضحت لك ذلك».

أجل فعلت. اعترف روفوس في سره بنفاد صبر. إن كان ما أخبرته به غابرييلا هو ما حدث فعلاً، إذاً كان يجدر بوالده ألاّ يكتفي برمي

طوبي خارج المنزل منذ ثلاثة أشهر فقط، وتبديل وصيته، بل كان عليه أن يدينه بتهمة محاولة اغتصاب أيضاً!

هذا بالطبع إذا كانت غابرييلا تقول الحقيقة...

تنفس بعمق قائلاً: «عندما أعود من نيويورك، سأذهب للتحدث مع طوبي قليلاً».

قالت وهي لا تزال تحدق به: «افعل ما بدا لك».

هناك شيء ما مختلف في غابرييلا بعد ظهر هذا اليوم، أدرك روفوس ذلك وهو ينظر إليها محدقاً، فهي ليست هجومية كما هي في العادة، ولا تستجيب لكلامه المهين بطريقتها السابقة على الإطلاق.

سألته باهتمام: «لماذا عليك الذهاب إلى نيويورك بهذه السرعة».

- ولِم هذا الاهتمام، غابرييلا؟

رفعت كتفيها، وأجابت: «كل ما في الأمر أنني أتساءل لما هذه العجلة. حتى إنك لا تستطيع أن تأخذ هولي معك».

لا يعقل أنها تفكر بهذا الأمر! هل تعتقد أنه ذاهب إلى نيويورك لملاقاة امرأة أخرى، وأن هولي ستكون عقبة في علاقته مع تلك المرأة؟

وكأنه يستطيع النظر إلى أي امرأة أخرى، فيما غابرييلا تربطه بها بشكل معقد جداً، إلى درجة تمنعه من التفكير بوضوح في معظم الأوقات.

لوى روفوس شفتيه بسخرية. نسي تماماً القرار الذي اتخذه منذ دقائق قليلة فدعاها قائلاً: «بإمكانك القدوم معي غابرييلا، مع أنني أؤكد لك أنك لن تري الكثير من نيويورك».

راقبها بشدة ليرى ردة فعلها.

أدركت غابرييلا أن عينيه تلمعان الآن بعاطفة مختلفة جداً عن الغضب الذي يكنه لها عادة. آه! ما زال روفوس يتوق إليها بقوة.

كيف يمكنه أن يشعر بالانجذاب نحوها، وهو يحمل تلك الأفكار

عنها؟ لم تستطع غابرييلا أن تجد أي مبرر لذلك، لكنها عرفت من اللمعان في عينيه، والتورد الخفيف على وجنتيه، أنه يرغب في التقرب منها.

نظرت إلى عينيه بثبات وقالت: «رأيت نيويورك من قبل. ذهبت إلى هناك مع أمي وجيمس للتبضع منذ عدة سنوات لمناسبة حلول رأس السنة».

- هكذا إذاً! هل أفهم من كلامك أنك ترغبين في الذهاب معي؟

هل تفعل؟ آه، أجل! إنها تكره فكرة غيابه الآن، مع كل هذه الأمور غير المستقرة بينهما. لكنها تعلم أيضاً أنه ما زال غاضباً، لأنه يعتقد أنها تتآمر عليه مع طوبي.

إن ذهبت معه إلى نيويورك من المحتمل أن يجعلها تعاني بسبب ذلك الغضب.

هزت رأسها ببطء، وأجابت: «لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة، لاسيما أنك قلت لهولي إنها لا تستطيع الذهاب، وهي تكرهني بما فيه الكفاية في وضعنا الحالي».

- هي لا تعرفك بما يكفي حتى تكرهك.

علقت غابرييلا باستياء:

- ذلك لم يمنعك أنت من كرهي.

ابتسم روفوس بضيق، وأجاب: «كلانا نعلم جيداً لما لا أثق بك، غابرييلا».

قبل أن يكمل كلامه أسرعت بالدفاع عن نفسها: «حتى لو كان ما تظنه بأمي صحيحاً -مع أنه أمر خاطئ تماماً- فليس لديك أي سبب لتقرر أنني جشعة وأرغب في الحصول على الثراء بأي وسيلة ممكنة».

نظر روفوس إليها بسخرية، قائلاً: «وماذا عن تصرفك في ماجوركا؟ تعمدت إغوائي في ذلك النهار، غابرييلا. هل علي أن أصدق أن ما

حدث هو مجرد فضول مراهقة؟».

بالطبع، هو لن يصدق أنها كانت مغرمة به.

قالت بحرارة: «بالطبع كان كذلك! في ذلك الوقت كنت مفتونة بك».

اعترفت بذلك وهي مقطوعة الأنفاس.

ابتسم روفوس بلا مرح، ثم علق ساخراً: «وأفترض أنني حطمت كل أحلامك المراهقة؟».

بالطبع، فعل ذلك. تماماً كما يحطم الحب الكبير الذي تكنه له الآن.

هزت غابرييلا رأسها، واعترفت بهدوء: «ما كنت لتهتم إن فعلت ذلك».

نظر روفوس إلى رأسها المنحني، وإلى تلك الرموش المسدلة فوق وجنتيها الجميلتين. كره الإحساس بالذنب الذي جعلته يشعر به، فسارع إلى التخلص منه. كانت غابرييلا تعلم جيداً ما الذي تفعله منذ خمس سنوات. تعمدت ارتداء ثوب السباحة ذاك، للقيام بذلك الدور بالتحديد...

أكد لها بقسوة: «أنت على حق. ما كنت لأهتم!».

شد بقوة على قبضتي يديه إلى جنبيه، وهو يحاول يائساً أن يقاوم الإغراء المسيطر عليه في أن يأخذها بين ذراعيه ويغيب معها في لحظات من الحب، وبذلك يعطي نفسه ذكرى جديدة، يأخذها معه إلى نيويورك، لكنه خسر في هذه المعركة.

رفعت غابرييلا رأسها، واتسعت عيناها، ما إن أمسك روفوس بذراعيها وعانقها بقوة.

قصد بذلك العناق أن يعاقبها، وأن يجعلها تفهم أنها له، لا أن يشعرها بالسعادة والحب. في الواقع، نجح روفوس بذلك، لأن

غابرييلا علمت أنها لا تريد أن يلمسها أي رجل آخر سواه، بغض النظر عن شعوره نحوها.

لمعت عيناه وهو يرفع رأسه، ويبعدها عنه.

قال ينصحها بنبرة قاسية: «ابقي بعيدة عن طوبي أثناء غيابي».

راقبته غابرييلا، والدموع تلمع في عينيها، فيما خرج روفوس من الغرفة بخطى واسعة وقوية، من دون أن ينظر إليها نظرة وداع.

إنها لا تعني له شيئاً، وهو لا يشعر بسوى الانجذاب الحسي نحوها. انجذاب يمكنه إشباعه في أي وقت وفي أي مكان يريد، أما هي فلا سلاح لديها مطلقاً لمقاومته. تماماً كما علمت اليوم أن لا دفاعات لديها أمام الحب الكبير الذي تشعر به نحوه.

لهذا السبب، ذهبت غابرييلا بعد ظهر هذا اليوم لزيارة دايفيد بروستر، ليبدأ بالمعاملات الرسمية التي ستؤكد يوماً لروفوس أن لا خيار أمامه إلا تصديقها. قد تثبت الأيام أن تصرفها هذا لم يشكل أي فرق بالنسبة إلى روفوس، لكنها على الأقل ستتأكد أنها بعد مرور الأشهر الستة ستعيد له الخمسة والعشرين مليون جنيه، وهكذا ستبرهن له أنه مخطئ تماماً في نظرته نحوها وأفكاره بشأنها.

ستصبح حياتها فارغة بدون روفوس، لكنه على الأقل سيعرف الحقيقة.

٨ - حلم أم كابوس

شعرت غابرييلا أنها تعيش أجمل حلم في حياتها؛ روفوس يرقد في السرير بجانبها، يضمها إليه، يعانقها بلطف، وحنان، وحب...

أدركت غابرييلا أنها تحلم، لأن روفوس لا يحبها...

دفنت تلك الأفكار في أعماق ذاكرتها، راغبة في العودة إلى حلمها... إلى روفوس المنشغل بها بكل حماس وشوق وحنان. لأنها تريد أن يحبها روفوس...

آه، بالطبع!

ألقت رأسها على صدره، فيما لفحت أنفاسه عنقها، وهو يهمس بكلمات الشوق في أذنها...

قال بصوت عميق: «هل اشتقت إلي غابرييلا؟».

تنهدت بشوق وأجابت: «آه! أجل، روفوس. اشتقت إليك كثيراً».

مرر يده بحنان فوق شعرها، وضمها إليه بلهفة.

قالت لنفسها، لاشك أن هذا حلم، في الحلم تستطيع أن تطلب من روفوس ما تريد...

- لكم أحب أن تضمني إليك كما تفعل الآن.

عانقته بدورها وهي تشعر بأن هذا الحلم لن ينتهي أبداً.

ابتسمت عندما أنهى روفوس العناق، وقال لها: «أنت رائعة الجمال».

ضحكت بفرح ثم تمسكت بكتفيه وهي تهمس: «وأنت رائع أيضاً، روفوس؟».

عانقها روفوس من جديد، فبادلته العناق بكل ما لديها من إحساس وعاطفة نحوه.

بعد مرور بعض الوقت، تنفس بضعف قائلاً: «أحب هذا الانسجام بيننا، غابرييلا. حباً بالله! دعيه يستمر».

رفعت رأسها لتنظر إلى عينيه وتقول له بحرارة: «أريدك أن تدللني روفوس، لكي أحبك أكثر!».

عبرت عن إحساسها بالرضى ما إن شدها إليه بنعومة...

ضمته غابرييلا إليها، وغابا معاً في بحر من العواطف والشوق أعمق وأكبر مما تستطيع أن تتخيل. استسلمت بعدئذٍ لنوم عميق دافئة رأسها في صدره...

* * *

استيقظت غابرييلا على أشعة الشمس المتسللة من نافذة غرفة نومها. تمددت بتكاسل وهي تتذكر الشغف الذي عاشته في حلمها. ظهرت ابتسامة على وجهها وهي تتذكر الرقة التي عاملها بها روفوس، وعلاقتهما الحميمة معاً.

إنها ليست المرة الأولى التي تحلم فيها بروفوس، لكن لم يحدث مطلقاً في الماضي، أن يكون الحلم بمثل ذلك التأثير في مخيلتها عندما تنهض في الصباح.

إنها لا تزال قادرة على الإحساس ببشرته، بلمساته، وبأنفاسه الدافئة وبآثار... آه! ما حدث كان حلماً... أليس كذلك؟

اتسعت عيناها، وامتلأتا بالحذر. رمت الغطاء عنها، فلاحظت أن قميص النوم الحريرية القشدية اللون التي كانت ترتديها قبل أن تذهب إلى السرير البارحة، ملقية على الأرض بجانب السرير.

آه، يا إلهي! لم يكن ذلك حلماً. كان روفوس هنا فعلاً ليلة أمس!

شحب لون وجهها وهي تتذكر ما حدث، وعدم قدرتها على السيطرة

على نفسها، وجرأتها وهي تبادله العناق والمودة.

لكن روفوس في نيويورك!

حاولت أن تحدث نفسها بمنطق. إنه هناك منذ ثمانية أيام، فهل تراه عاد ليكون هنا بجانبها ليلة البارحة؟

مهما حاولت أن تفكر بمنطق لتفهم ما يجري، إنها مضطرة إلى الاعتراف بأن روفوس كان فعلاً معها في السرير البارحة، وأن ما حدث لم يكن حلماً على الإطلاق!

قالت لنفسها من جديد، لا! لا يمكن لروفوس أن يكون هنا. فهو لم يتحدث إليها عبر الهاتف طوال الأيام الثمانية، مع أنه تحدث عدة مرات مع هولي، وهي متأكدة أنه كان ليخبر ابنته لو أنه توقع العودة ليلة البارحة.

آه! ليس هناك «لو أنه» فروفوس عاد ليلة البارحة. كيف يمكنها أن تواجهه ثانية هذا الصباح، بعد ذلك الدلال والشوق اللذين أظهرتهما له؟

- حسناً!

سمعت صوته المألوف يقول بسخرية: «أصبحت الساعة الثامنة والنصف غابرييلا، إن كنت ترغبين بالذهاب إلى شركة غريشام اليوم».

لوى روفوس فمه باستغراب ما إن سحبت الغطاء فوقها. التمعت عيناها البنفسجيتان بالغضب وهي تحدق به من فوق الغطاء، فيما شعرها الأسود يحيط بوجهها بفوضى محببة.

كان روفوس متعباً، قلقاً، ومرهقاً جداً بسبب رحلته الحزينة. عندما وصل إلى المنزل ليلة البارحة، كان بحاجة قصوى إلى الدفء والحنان. أراد الاستلقاء فقط بجانب غابرييلا في السرير، ليتمكن من نسيان أحزانه. أما ما حدث بعد ذلك فلم يكن متوقعاً أبداً، بالرغم من السعادة القصوى التي شعر بها.

كلاهما كانا غاضبين عندما افترقا منذ ثمانية أيام، لكن ليلة البارحة، أغدقت غابرييلا عليه من الحنان والشوق ما يجعله راغباً في تكرار ما حدث.

سألته بفظاظة، وهي تحدق إليه بغضب: «متى عدت؟».

ما زال جزءاً منها يأمل أن تكون مخطئة، وأن يكون ما حدث مجرد حلم. تعلم غابرييلا أن ذلك أمل عقيم، لكنها تستطيع أن تأمل.

رفع روفوس كتفيه، وأجاب: «تقريباً... عند الساعة الواحدة فجراً».

أغمضت غابرييلا عينيها، وأخذت تصلي، قبل أن تفتحهما من جديد وتحدق به، لتقول بنبرة اتهامية: «أتيت إلى سريري لية البارحة!».

هز روفوس رأسه وهو يتأملها، ثم قال وهو يرفع كتفيه: «أجل، فنحن متزوجان غابرييلا».

قالت بنبرة حادة ومليئة بالتوتر: «أجل، لكن... لكنني كنت نائمة، ولم أعلم ما الذي أفعله. لقد... استغليت الوضع الذي كنتُ فيه».

سار إلى داخل غرفة نومها، مرتدياً قميصاً من اللون الأزرق الداكن قصيرة الكمين فوق سروال جينز باهت اللون.

قال: «كما أتذكر، أنت كنت متجاوبة تماماً ومشتاقة جداً إلي».

وكما تتذكر، فإن روفوس توسل إليها كي تضمه إليها وتعانقه.

ابتلعت غصة كادت تخنقها، قبل أن تقول: «اعتقدت أنه... حلم».

ابتسم بخفة معلقاً: «هل يراودك الكثير من الأحلام بشأني؟».

لم يراودها حلم بمثل هذا الشغف وهذه الروعة... لأنه لم يكن حلماً!

قالت بسرعة: «إنها كوابيس في العادة».

تمنت لو أنه يرحل، علّها تتمكن من استعادة بعضاً من هدوئها

وكرامتها، لكن هذا أمر صعب جداً في ظل الظروف الراهنة.

اتسعت ابتسامة روفوس قبل أن يقول: «يمكنك أن تحظي بقدر ما تشائين من كوابيس كهذا الكابوس! أنا أكثر من سعيد للمشاركة فيها والموافقة عليها».

تمتمت غابرييلا بنفاد صبر: «هل يمكنك أن ترحل، روفوس؟ ألم تعمل على إذلالي بما فيه الكفاية لهذا النهار؟».

غابت ابتسامة روفوس، وحدق بقوة في وجهها الشاحب، وما رآه هناك لم يعجبه البتة.

بدلاً من المغادرة كما طلبت منه، سار عبر الغرفة ليجلس على جانب السرير. مدّ يده ليمسك وجهها وينظر إليها بتصميم وقوة.

هز رأسه، وقال لها مؤكداً: «أنا لست راغباً في إذلالك غابرييلا. إن أردت الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة، أشعر أنه يجدر بي أن أشكرك».

كررت بقلق: «تشكرني...».

بقيت أصابعها تمسك بقوة بالغطاء، وهي تلفه حول جسمها ليصل إلى ذقنها.

تنهد روفوس بضيق قبل أن يقول: «لم أخبرك من قبل عن سبب ذهابي على وجه السرعة إلى نيويورك. تعرض مدير الشركة هناك إلى حادث سيارة».

هزّ رأسه بأسى، وتابع: «توفي منذ خمسة أيام، وهو... كان صديقي، غابرييلا... كذلك عائلته».

رفعت غابرييلا نظرها إليه متفحصة، ولأول مرة رأت التوتر والضيق على وجهه. شاهدت خطوطاً من التعب والحزن حول عينيه وفمه، لم يكن لها أثر قبل ثمانية أيام.

غمرت ملامح الحزن وجهه وهو يتابع: «أقيمت الجنازة البارحة.

بقيت هناك قدر ما أستطيع، لكن حزن أرملته كان كبيراً جداً، كما أن لديه طفلين صغيرين أيضاً، لم يتمكنا من فهم رحيل والدهما. لم أستطع الانتظار حتى أتمكن من الرحيل».

تابع معترفاً بنبرة مرتجفة، وهو يلامس ذقنها بإبهامه: «كنت بحاجة ماسة لما منحتني إياه ليلة البارحة، غابرييلا».

أضاف بحرارة: «هل تستطيعين تفهم ذلك؟».

والده، زوج أمها الغالي، توفي منذ سبعة أسابيع فقط، وخسارة روفوس لا تزال مؤلمة وقوية مثل خسارتها. ولا بد أن وفاة شخص آخر أكثر شباباً كما يبدو، وهو صديق أيضاً، شكل صدمة مريعة له.

قالت له بتأثر: «أنا آسفة جداً، لم تكن لدي أي فكرة عن ذلك».

لم يشعر روفوس أنه قادر على التحدث مع غابرييلا أثناء وجوده هناك. اعترف بذلك لنفسه. وجوده في نيويورك كان مهماً جداً لفريق العمل المصدوم في شركة غريشام، ولجين والطفلين. لو أنه سمع صوت غابرييلا عبر الهاتف، لما رغب في البقاء في نيويورك مطلقاً، ولأقدم على العودة في أول طائرة عائدة إلى هنا. في الواقع، هذا ما فعله ما إن شعر أنه قادر على المغادرة.

أدرك أنه اشتاق لغابرييلا كثيراً. مهما كان سبب هذا الزواج، ومهما كانت علاقتها مع طوبي - وهذا ما سيكتشفه بالتحديد بعد عودته إلى إنكلترا- فغابرييلا أصبحت جزءاً ضرورياً من حياته، جزءاً لم يعد متأكداً أنه قادر على التخلص منه أو الابتعاد عنه بعد انتهاء الأشهر الستة.

وقف روفوس على نحو مفاجئ، ووضع يديه في جيبي سرواله. قال باقتضاب: «انزلي لتناول الفطور معي. من فضلك».

رمشت غابرييلا بعينيها، متفاجئة من التبدل الذي طرأ على مزاجه. لدقائق قليلة... قليلة جداً، شاركها روفوس فعلياً بحياته الشخصية

وعواطفه. يبدو أنها هفوة ندم عليها الآن بشكل واضح. هزت رأسها ببطء قائلة: «حسناً! سأنزل ما إن أستحم وأرتدي ثيابي».

قالت ذلك عمداً، لأنه لم يبذل أي مجهود لمغادرة الغرفة.

- آه! سأراك بعد قليل.

هز رأسه قبل أن يستدير ويسير مبتعداً، ثم أغلق الباب وراءه.

استلقت غابرييلا على الوسائد وراءها، وأخذت تحدق بالسقف كأنها لا ترى شيئاً. اشتاقت كثيراً لعودة روفوس من نيويورك خلال الأيام الثمانية الماضية. بدا لها كأن الأيام لا نهاية لها، مع أنها توقعت أن يستأنفا علاقتهما المتوترة التي عمد طوبي على زيادة توترها بسبب أكاذيبه. لا شك أن عدم ثقة روفوس بها الآن لا يمكن أن تحد أو توصف.

لكن قدوم روفوس إلى سريرها ليلة البارحة، محتاجاً لقربها وحنانها، أثبت لها كم هي مخطئة بما تفكر به. بالرغم من عدم ثقة روفوس بها، فهما يستطيعان التواصل من خلال العلاقة الحميمة؛ من جهتها، لأنها تحبه من أعماق قلبها وروحها، أما روفوس، فلأنه منجذب إليها بغض النظر عما يفكر به حيالها.

* * *

- ألن تأكل شيئاً؟

قالت ذلك بعد عشر دقائق، حين انضمت إلى روفوس في غرفة الطعام الصغيرة، لأنها لم تجد غير فنجان قهوة على الطاولة أمامه.

ابتسم روفوس، وأجاب: «ما زالت ساعتي البيولوجية مشوشة بشكل مطلق. كما أنني تناولت قطعة من التوست مع هولي قبل أن تذهب إلى المدرسة».

قالت بهدوء: «أراهن أنها بدت سعيدة جداً لرؤيتك».

هز رأسه بجدية، وقال: «إن لم يكن إلا لتقول لي، أي زوجة أب

غير منطقية ومتنمرة أحضرتها لها».

رفعت غابرييلا نظرها إليه بقلق، لكنها شعرت بالارتياح على الفور ما إن رأته يبتسم.

- قررت هولي أن تتناول طعامها في غرفتها لمدة يومين بعد سفرك. عندما سمعتُ بذلك، قلت لها إنني أعطيتُ تعليماتي لفريق العمل في القصر ألا يأخذوا أي وجبة طعام إلى غرفتها، وإن أرادت أن تتناول الطعام عليها أن تأتي إلى غرفة الطعام. احتاج الأمر إلى يوم من الجوع الشديد لتدرك أنني أقصد تماماً ما قلته، لذا أتت إلى الفطور صباح اليوم التالي.

تصارع الإرادات بينها وبين هولي لم يكن أمراً ساراً. الآن وبعد مرور أسبوع على ذلك، بالكاد تتحدث معها هولي عندما تتناولان الفطور أو العشاء معاً. إنها بالكاد تتناول طعامها، وتسرع بالعودة إلى غرفتها. نظر روفوس إلى غابرييلا بإعجاب. ما زال غير متأكد من السبب الذي دفعها للاهتمام بهولي، لكنه يشعر بالامتنان لقيامها بذلك. هذا إحساس غريب بالنسبة إلى امرأة كان يتجنب دائماً أي شعور حيالها، باستثناء ذلك التوق الذي لا يستطيع إنكاره.

ابتسم معلقاً: «لم تبدُ سعيدة، لأنني اتبعت نصيحتك، ولم أحضر لها هدية معي. هي تعتقد أننا نتحالف ضدها. هذا بالتحديد ما قالته».

ذلك أمر لا يمكن تصديقه، وهذا ما دفع غابرييلا للابتسام قائلة: «من الواضح أنها لا تعرف أبداً كيف هي علاقتنا بالحقيقة».

سألها باهتمام: «وماذا تقولين عن علاقتنا، غابرييلا؟».

بدا كأنها تفكر بالأمر للحظة. رشفت قهوتها ببطء، ثم قالت أخيراً بحزن: «مليئة بالنزاع، لكن هناك انجذاب حسي لا يقاوم بيننا».

ضحك روفوس بنعومة، ثم هز رأسه وقال: «وأحياناً، هو شعور غير مريح ومزعج».

نظرت غابرييلا إليه عن كثب. بعد نقاشهما قبل أن يغادر منذ ثمانية أيام، توقعت أن يعود متعمداً إهانتها، تماماً كما كان عند رحيله.

بالطبع هي لم تتوقع أن تجلس لتتشارك وإياه الفطور، بعد أن أمضيا ليلة مليئة بالشغف معاً. آه! تتورد وجنتاها ما إن تتذكر ما حدث خلال الليل.

لكن مزاج روفوس يتصف اليوم بالهدوء... هدوء يثير حيرتها. وكأن موت مدير شركته في نيويورك جعله يفكر بحياته الخاصة.

بالطبع، لن تكون حمقاء فتظن أنه سيغير موقفه من ناحيتها، فهي تعلم أن أقل الأمور تثير شكوكه حولها من جديد. قررت أن تتحدث عن موضوع آمن، فقالت: «إذاً، قررت ألاّ تحضر لهولي هدية في النهاية؟».

رفع كتفيه وقال: «لم أكن في مزاج يسمح لي بالخروج للتسوق، كما أن هولي كانت فظة معك ومعي قبل أن أسافر. فكرت بالأمر كثيراً أثناء وجودي في نيويورك، وأدركت أنك ربما على حق؛ لقد أنجبت بنتاً جشعة».

ابنته قد تصبح تماماً مثل والدتها إن استمر في تدليلها كما يفعل! أدرك روفوس ذلك على مضض.

هولي لا تهتم إلاّ بما تستطيع أن تأخذه، لا بما يمكنها أن تقدمه مقابل ما تحصل عليه. حسناً! لم يتأخر الوقت على تصحيح هذه الأخطاء التي أوجدها في هولي بعدم انتباه منه، فهي ما زالت صغيرة ومن السهل تقويم أي اعوجاج في شخصيتها.

حظي روفوس بفرصة مراقبة ولدي روب بعد وفاة والدهما، ورأى الاهتمام والعناية من قبل ابني العاشرة والثانية عشرة، وهما يحاولان مساعدة أمهما لتقبل ما حدث، بدلاً من أن يثقلا عليها بحزنهما وألمهما. جعله ذلك يدرك أنه يحب أن تكبر هولي وتصبح محبة وخالية

من الأنانية مثلهما. لابد أن يكون هو نفسه المثال الأقرب لذلك.

أما غابرييلا فهي ما زالت لغزاً بالنسبة له أكثر من ذي قبل. هو فعلاً لم يتوقع منها أن تستمر في الاهتمام بهولي أثناء غيابه. حتى عندما أصغى إلى تذمر ابنته بشأنها، تساءل عن هذا الاهتمام. ليس هناك أي هدف محتمل بإمكانه أن يفكر به، إلا رغبة قوية بمساعدة هولي. غابرييلا لا تفكر مطلقاً أن هولي فتاة جشعة، كل ما في الأمر أنها فتاة صغيرة يغدق عليها والدها الدلال، وهي ليست بحاجة إلاّ إلى تعلم بعض العادات الجيدة.

سأل روفوس: «كيف تسير الأعمال في المطعم؟».

أشرق وجه غابرييلا بابتسامة قبل أن تقول: «جيدة جداً. انتهت مرحلة الطلاء. اخترته من ألوان البحر المتوسط، كما تم وضع اللوحات الجديدة، والنباتات الخضراء. المطبخ أُعيد تجديده أيضاً، وأنا بانتظار وصول المقاعد الجديدة. عندها سينتهي العمل فعلياً بالديكور».

إنها مفعمة بالحيوية والنشاط تماماً كما كان هو عندما أسس الفرع الجديد لغريشام في نيويورك. لاحظ روفوس ذلك بإعجاب. وها هو من جديد يتساءل عن العمل الشاق الذي تبذله من دون أي تذمر أو شعور بالتعب والارهاق في هذا المشروع التجاري.

قال باهتمام واضح: «هل ستكونين جاهزة للافتتاح كما هو مقرر نهار الإثنين؟».

- بل السبت. سأحاول جذب ما أستطيع من زبائن نهار السبت، آملة أنهم سيعودون باكراً في الأسبوع القادم.

فكر روفوس بإعجاب ورضى، إنها خطة جيدة للعمل، فبداية الأسبوع هي أقل نشاطاً بالنسبة إلى الزبائن من نهاية الأسبوع. ذكّره هذا أن لديه عملاً هنا في لندن، عمل أجبر على تجاهله لأكثر من أسبوع.

وضع فنجانه الفارغ على الطاولة، ثم التقط كومة الرسائل التي كان يتفحصها قبل أن تنضم غابرييلا إليه.

- علي أن أذهب إلى المكتب لإجراء بعض الاتصالات الهاتفية هذا الصباح، ثم سأذهب إلى الشركة بعد الظهر. هل ستكونين هنا هذا المساء أثناء العشاء؟

قطبت غابرييلا جبينها مفكرة. إنه غاية في التهذيب، وهي لا تستطيع أن تفهم ماهية هذا التغير في موقفه تجاهها. اهتمام روفوس بالمطعم أمر غير متوقع مطلقاً، كذلك سؤاله عن خطتها بشأن تناول العشاء معه. أجابت بحيرة: «بالطبع! أين تراني سأكون إذاً؟».

رفع حاجبيه وعلق: «أنا أسأل فقط، غابرييلا».

قالت وهي لا تزال مقطبة الجبين: «لماذا؟».

ابتسم لها روفوس بهدوء، وأجاب: «لأنني أرغب في معرفة إن كنت سأتناول العشاء مع زوجتي هذا المساء أم لا».

لم يذكر طوبي منذ أن عاد، كما أنه لم يسألها إن كانت قد التقته أم لا أثناء سفره. ربما لم يفعل، لأنه يعتقد أنها ستكذب عليه بهذا الشأن.

قالت تؤكد له بلا اهتمام: «حسناً! سأكون هنا، لكن إن كنت أنت أم لا، فتلك مسألة أخرى».

ضاقت نظرته وهو يسألها: «ماذا تعنين بقولك؟».

رفعت كتفيها قبل أن تقول: «أقصد أنك كنت بعيداً عن لندن لأكثر من أسبوع. ولا بد أن لديك أصدقاء ترغب في رؤيتهم».

هما لم يتحدثا مطلقاً بشأن أي علاقات خاصة في حياتهما عندما قررا الزواج. بالنسبة لغابرييلا، ما من رجل آخر في حياتها، لكن وجود تلك الشقة التي يملكها روفوس في المدينة، يجعلها غير متأكدة بشأنه، لاسيما أنها لا تعرف أي شيء عنه سوى كرهه لها.

توفر لديها الكثير من الوقت لتفكر بهذه الأمور أثناء غياب روفوس

في نيويورك. فكرت غابرييلا أن من المحتمل أن تكون هناك امرأة ما في حياته في الوقت الراهن، وأنها بدون شك ليست المرأة الوحيدة التي تملأ حياته الآن.

لم يدرك روفوس ما الذي يجول في رأس غابرييلا. فهو لا يستطيع أن يقرأ أي شيء من خلال عينيها الحذرتين، لكن المعنى المبطن في كلامها أظهر بوضوح ما تقصده.

قال مؤكداً لها: «لا صديقات لي في هذه الفترة غابرييلا، فقد لا ترضى زوجتي عن ذلك».

أجابته بضيق: «هذا بالطبع أمر يزعجك. لاشك بذلك».

أدرك أنها تحاول إثارة شجار معه من جديد. إنه ليس مستعداً للشجار معها الآن، فهو ما زال يتذكر علاقتهما العاطفية ليلة البارحة بوضوح تام، ولديه ما يكفي من الأسئلة بشأنها، لذا لن يشعر بالارتياح إن تشاجر معها. في الواقع، الأسئلة التي تشغله بحاجة ماسة إلى أجوبة، لكن الوقت ليس مناسباً الآن، ولا المكان أيضاً. الآن هو يرغب في المغادرة قبل أن تتمكن غابرييلا من اقحامه في شجار لا يريد الخوض فيه.

وقف قائلاً: «علي أن أذهب لأجري تلك الاتصالات الهاتفية».

ثم تابع بهدوء: «سنحظى بالوقت الكافي للتحدث هذا المساء. إذا كان هذا ما تريدينه».

فكرت غابرييلا أنها لا تعلم ما الذي تريده. شعرت أنها عاجزة تماماً عن فهم روفوس الهادئ المرح. أقاما علاقة عاطفية ليلة البارحة بكل ما لديهما من أشواق وعاطفة، وهذا الصباح روفوس يتكلم معها وكأن رأيها يهمه، وكأن ما كانت تفعله أثناء غيابه يهمه أيضاً. لكنها لم تعرفه أبداً بهذا المزاج من قبل.

توقف ما إن أصبح قرب الباب، وقال: «آه! بالمناسبة، لدي رسالة

هنا من دايفيد بروستر يطلب فيها مني أن أتصل به ما إن أرجع إلى إنكلترا».

رفع كومة الرسائل التي كان يقرأها قبل قليل، وتابع: «ألديك أي فكرة عما يريد التحدث معي بشأنه؟».

توتر جسد غابرييلا وكأن تياراً كهربائياً مسها. اتصل دايفيد بروستر بروفوس منذ ثمانية أيام. هذا يعني أنه اتصل به ما إن عادت من مكتبه، بعد أن وقعت على موافقة منها بإعادة كل ما سترثه من جيمس إلى روفوس، ما عدا مطعم غابرييلا، في نهاية الأشهر الستة لزواجهما.

قالت بحزم: «لا فكرة لدي مطلقاً عن الأمر».

صممت في سرها على الاتصال فوراً بدايفيد بروستر، والتحدث إليه قبل أن يفعل روفوس ذلك.

تمت صياغة العقد من خلال الثقة المتبادلة بينهما، كما أن الأمر لا يعني أحداً غيرها، لكن دايفيد بروستر لم يشجعها على ذلك، ولم يبدُ سعيداً بما فعلته. حاول إقناعها بأن تتخلى عما تفعله، مؤكداً لها أن ليس هذا ما أراده جيمس لها في النهاية.

دايفيد بروستر ليس محاميها في الواقع، لكن في ظل الظروف الغريبة لوصية جيمس، بدا لها أنه الخيار الأنسب للقيام بهذا الترتيب الجديد. لكنها اعتقدت أن دايفيد بروستر فهم أنه اتفاق سري، وليس على روفوس -كونه المستفيد منه- أن يعلم به حتى تختار هي أن تخبره بذلك.

لذا، أي سبب آخر قد يدفع المحامي إلى التحدث مع روفوس؟

٩ ـ شجار... لا نهاية له

– ماذا لديك الآن؟

قال روفوس باهتمام وهو يجلس على جانب سرير ابنته، وقد أتى ليتمنى لها ليلة سعيدة.

رفعت هولي نظرها عن الكتاب الذي بدت منشغلة به كثيراً.

– هذا كتاب عن الخيول. أحضرته غابرييلا لي اليوم هدية. قالت إنني كنت فتاة جيدة أثناء غيابك، وهي تعتقد أنه يجب عليّ أن أقرأ عن كيفية العناية بالمهر، قبل أن أطلب منك شراء واحد لي.

اتسعت عينا روفوس، وقال ببطء:

– أهذا... ما فعلته؟

هزت هولي رأسها، كأنها ترغب في العودة إلى كتابها. قالت: «أجل. قالت لي أيضاً إنها اعتادت على أخذ دروس في ركوب الخيل عندما كانت تعيش هنا وهي فتاة شابة، وإنني إذا رغبت بذلك فهي تستطيع تأمين دروس لي في نادي الفروسية الذي كانت تذهب إليه».

– أهذا... ما قالته؟

لاحظ روفوس أنه يكرر نفسه، لكنه غير قادرة على القيام بأي شيء آخر في ظل هذه الظروف، بسبب شدة حيرته وحقيقة أن غابرييلا شغلت نفسها في اختيار كتاب لهولي، من الواضح أن ما يتضمنه يثير اهتمام ابنته، لكن أن تقترح أيضاً تنظيم دروس في ركوب الخيل من أجل هولي، فهذا أكثر مما يستطيع تخيله.

كررت ابنته بحماس: «أجل. لكن بعد أن تتحدث معك بشأن ذلك، بالطبع».

أضافت بسرعة: «هل أستطيع الذهاب إلى نادي الفروسية، أبي؟ قالت لي غابرييلا إنها ستحاول أن تحجز لي مكاناً صباح نهار الأحد إن وافقت».

غابرييلا فعلت ذلك، وغابرييلا قالت ذلك...

هذا موقف مختلف تماماً من قبل هولي عن الموقف الذي اتخذته سابقاً، وعن الشعور الذي كانت تكنه لغابرييلا منذ تسعة أيام.

ربما هولي هي التي تتغير. هذا أمر واضح بالنسبة له. المهم أنها تتغير إلى الأفضل، لكن تصرف غابرييلا هو ما يثير حيرته.

أدركت أنه لم يحضر لهولي هدية من نيويورك، فأحضرت لها هدية بدلاً منه، لأنها كانت فتاة صالحة أثناء غيابه. هذه هي الطريقة التي يجب أن تقدم الهدايا من خلالها، بدلاً من أن تقدم لتهدئ من طباع هولي الثائرة.

هذا ما فعله روفوس من خلال الهدايا التي أغدقها عليها عبر السنين. يبدو أن غابرييلا تملك فكرة واضحة عن تربية الأطفال ومعاملة فتاة صغيرة أكثر مما يعرفه هو، مع أنه والد هذه الفتاة.

– لا أرى سبباً يمنعك من القيام بذلك، صغيرتي.

انحنى إلى الأمام ليطبع قبلة على جبهة ابنته، وكاد يفقد توازنه قليلاً ما إن رمت ذراعيها بقوة حول عنقه وضمته إليها.

– آه! شكراً أبي! شكراً.

لمعت عيناها من الفرح وهي تتراجع إلى الوراء لتلقي بظهرها على الوسائد خلفها.

تابعت قائلة: «قالت لي غابرييلا إنها ستوصلني بنفسها إلى نادي الفروسية نهار الأحد إن وافقت على الأمر».

هز روفوس رأسه، وأجاب: «هذا تصرف لطيف من قبل غابرييلا، ربما سأذهب أنا أيضاً لأمارس رياضة الفروسية».

أشرق وجه هولي من شدة الحماس، وسألته: «هل ستفعل ذلك؟».

لِم لا؟ هو يأخذ هولي إلى المتنزه في بعض الأحيان، كما أنه يأخذها في بعض الأوقات إلى المسرح، لكنه لا يستطيع أن يتذكر آخر مرة بدت فيها بهذا الحماس بشأن أي شيء.

قال واعداً وهو يقف: «سأتحدث مع غابرييلا عن ذلك».

ثم أضاف بنبرة مليئة بالحب والاهتمام، وهو يسير نحو الباب: «ولا تقرأي لفترة طويلة».

هزت هولي رأسها موافقة، وأجابت: «قالت لي غابرييلا إنني أستطيع القراءة في كتابي هذا حتى الساعة الثامنة، وإلا سأكون متعبة جداً للذهاب إلى المدرسة صباح الغد».

أصبح روفوس أكثر حيرة من ذي قبل، لكنه أجاب موافقاً وهو يشعر بالانبهار: «إنها على حق في ما قالته».

قالت هولي بنبرة ضعيفة: «أعتقد أنني أخطأت بالتصرف بأنانية وخُبث مع غابرييلا أبي، فهي لطيفة جداً».

أجل، إنها كذلك! اعترف روفوس بذلك وهو مقطب الجبين. وربما... ربما كان هو أيضاً مخطئاً بالتصرف بوضاعة معها. حصل ذلك في الماضي، الماضي البعيد، عندما تكلما وأساء التصرف معها.

علقت هولي بحماس: «هل يمكنك أن تخبرها عن دروس الفروسية عندما تعود، أبي؟».

كرر روفوس ببطء: «عندما تعود؟».

هزت هولي رأسها، وأجابت: «غادرت المنزل قبل فترة قصيرة من عودتك من العمل».

هل خرجت غابرييلا من المنزل؟ لكنها قالت له هذا الصباح إنها

ستكون هنا أثناء العشاء!

سألها بخفة: «هل قالت متى ستعود؟».

هزت هولي رأسها، وأجابت: «فقط في وقت متأخر».

سألها الآن بنفاد صبر: «هل أخبرتك إلى أين ستذهب؟».

توقع أن يرى غابرييلا على العشاء، وكان يتطلع بشوق لتناول العشاء معها هذا المساء.

رفعت ابنته كتفيها، وقالت: «فقط قالت إنها ذاهبة».

هز رأسه وأجاب: «حسناً، صغيرتي! أراك صباحاً».

ابتسمت هولي قائلة: «أحبك، أبي».

أكد لها بعاطفة وصدق: «وأنا أحبك أيضاً، هولي».

لا شك مطلقاً بحبه لابنته، لكن ما يشغل باله ويشعر بالغموض حياله هو شعوره نحو غابرييلا. يبدو أن غابرييلا تحولت إلى لغز خطير.

* * *

- أين كنتِ؟

تصلبت غابرييلا لدى سماعها صوت روفوس. استدارت حيث كانت تقف في منتصف الدرج، فوجدت روفوس واقفاً في قاعة الدخول يحدق بها.

تجاوزت الساعة الحادية عشرة. اعتقدت، بل أملت أن يكون الجميع -لاسيما روفوس- قد أصبحوا في أسرّتهم في هذه الأثناء.

في الواقع، الصمت المطبق الذي لاحظته ما إن دخلت المنزل أقنعها أن ما أملته تحقق، لكنها لا تملك مثل هذا الحظ.

بدا روفوس غامضاً وخطيراً تحت الضوء الخافت. ملامح وجهه وشعره بدت مشعة كالذهب البراق وهو ينظر إليها.

ذكرها بفظاظة: «قلت هذا الصباح إنك ستتناولين العشاء معي هذا المساء».

قالت تغيظه: «لم تكن بانتظاري. أليس كذلك، روفوس؟».

أجاب بتهذيب: «كان علي إنجاز بعض الأعمال في المكتب، وسمعتك تدخلين».

رفعت غابرييلا كتفيها، وأجابت: «غيرت رأيي، وقررت أن ألتقي ببعض الأصدقاء في المدينة بدلاً من البقاء في المنزل».

في الحقيقة، فكرة الجلوس مع روفوس لتناول العشاء، بعد ما علمت به من الاتصال الهاتفي مع دايفيد بروستر، جعلتها تشعر بالدوار والغثيان.

ضحكت بسخرية من تعابير وجهه الغاضبة، وقالت: «لا تبدُ منزعجاً هكذا، روفوس. فأنا لدي الكثير من الأصدقاء كما تعلم. وبالطبع طوبي ليس واحداً منهم، إن كان هذا ما تفكر به».

لوى روفوس شفتيه، ثم علق: «أنا متأكد أن لديك أصدقاء غير طوبي. لم أقصد التطفل أو القول إن لا أصدقاء لديك».

رمقته بنظرة تقييمية قبل أن تقول: «بالطبع لدي أصدقاء، والليلة لم ألتقِ إلا بصديقات. يمكنني أن أعطيك أرقام هواتفهن إن كنت تريد الاتصال والتأكد بنفسك».

أدرك روفوس أنها تتعمد تحديه، فقطب جبينه، وتساءل عن السبب الذي يدفعها لذلك.

بدوا كأي زوجين عاديين هذا الصباح، وهما يتحدثان ببساطة وسهولة أثناء الفطور. كما أنه مسرور جداً من التغيرات التي قامت بها بشأن هولي، ومن الوقت والمجهود اللذين قدمتهما لمصلحة ابنته.

إذاً، لماذا تحاول مجدداً أن تخلق شجاراً بينهما؟

قال بلطف: «لا أريد أن أتحرى عنك غابرييلا. أردت فقط أن أعبر عن خيبة أملي، لأنك لم تكوني في المنزل لتتناول العشاء معاً».

نظرت غابرييلا إليه باشمئزاز، قائلة: «يمكنني المراهنة على ذلك!».

لماذا تبدو هجومية هكذا؟ حسناً! ربما بدلت رأيها، وخرجت لتمضية فترة المساء في الخارج، بدلاً من تناول العشاء معه. لكن بالتأكيد، هو من عليه أن يكون غاضباً على ما حدث لا هي؟ ففي النهاية، هذه هي الأمسية الأولى له في المنزل بعد أن كان بعيداً لأكثر من أسبوع.

إنه يبدو كعاشق مستاء أكثر من زوج أجبر على الزواج بها. اعترف روفوس بذلك بحزن وانزعاج. قال يدعوها بنبرة عميقة: «انزلي وتناولي شراباً ما معي، غابرييلا».

نظرت غابرييلا إليه متسائلة للحظات عدة، ما هي دوافعه وراء تلك الدعوة؟ فهما بالكاد صديقان، فلِم يدعوها لمشاركته شراب ما؟

غابت الحيرة عن وجهها ما إن لمع الجواب في ذهنها. قالت له بازدراء: «لست بمزاج جيد لإقامة علاقة معك الليلة، روفوس».

شهق روفوس بنفاد صبر.

- لست في مزاج جيد... تباً، غابرييلا! هل ذكرت كلمة تشير إلى ذهابنا إلى السرير معاً الليلة؟

لا! لم يفعل، لكنها لا تستطيع أن تجد أي سبب آخر يدفعه ليطلب منها أن تمضي بعض الوقت معه، والساعة الآن تجاوزت الحادية عشرة ليلاً.

ابتسمت بلا أي مرح قائلة: «نحن لا نتحدث عن ذلك عادة، بل نقوم به».

أجفل قليلاً كأنها تتهمه، ثم قال بهدوء: «أما زلت غاضبة مني بسبب ليلة البارحة؟ اعتقدت أنني شرحت لك السبب الذي دفعني للتواجد في السرير معك».

ضغطت بيدها على سياج الدرج، كي لا تلوح بها وهي تقول: «لماذا بحق السماء يجب أن أكون غاضبة منك... لأنك اقتحمت

سريري وأحلامي من دون أي دعوة؟».

فكر روفوس بضيق وإحباط، أن الأمور لا تجري أبداً على ما يرام بينهما. عرضه للمشاركة باحتساء شراب ما معاً هو مجرد دعوة عادية، وليس هناك أي دافع خفي لذلك من قبله. مع أنه يستطيع أن يدرك لماذا تعتقد غابرييلا أن هناك دافعاً ما.

حتى الآن، وباستثناء ما حدث في ماجوركا، هو من كان المسؤول عن إقامة علاقة بينهما، وكانت غابرييلا تستجيب له بقوة، لكنها لم تقم بالخطوة الأولى مطلقاً.

اقترح قائلاً بجدية: «ما رأيك في أن نعقد اتفاقاً؟ في المرة القادمة عندما نقيم علاقة عاطفية لن يتم الأمر إلاّ بناء على طلبك».

اتسعت عينا غابرييلا، قبل أن تسأله مشككة بما سمعته: «وهل ستحترم هذا الاتفاق؟».

أي نوع من الرجال تعتقده؟ رجل لا يستطيع الاحتفاظ بيديه بعيداً عنها لأكثر من عدة ساعات؟ أهذا هو الرجل الذي تظنه؟

عاش روفوس بدون أي علاقة حب في حياته لمدة طويلة جداً، لدرجة أنه ليس متأكداً أنه سيتعرف على الحب إن عاشه من جديد! كل ما يعرفه أنه يتوق إلى غابرييلا طوال الوقت. كما أنه يعلم أيضاً، أنه يستمتع بوجودها في أكثر الأوقات. هو يستمتع بالنظر إليها أيضاً، فهي واحدة من أجمل النساء اللواتي رآهنَّ في حياته.

لكن لديه كل الأسباب كي لا يثق بها. هل هذا صحيح؟ في الواقع، هو لم يعد متأكداً من ذلك الآن. إلى أن يصبح متأكداً من ذلك الأمر، من الأفضل لكليهما، ألاّ يرهقا وضعيهما بذلك الانجذاب بينهما، والذي يسيطر عليهما في كل مرة يكونان فيها معاً.

وافق بحزم: «بالطبع، سأحترم اتفاقنا. والآن، هل تنزلين وتتناولين شراباً ما معي؟».

بدا كأنه فقد كل صبر لديه. بدأ منذ الآن يشعر بألم إنكاره لما يشعر به نحوها. مجرد النظر إليها يجعله راغباً بشدة في معانقتها.

القميص القطنية التي ترتديها تلتف حول جسدها، وتظهر جمال خصرها ورشاقته. حسناً! إن أراد أن يحافظ على عهده معها، عليه ألاّ ينشغل كثيراً بجمالها وفتنتها.

تساءلت غابرييلا، هل عليها أن تنزل لتتناول شراباً مع روفوس؟ ما الذي ستحققه بذلك سوى زيادة الشوق بينهما والرغبة في أن ترمي بنفسها بين ذراعيه؟

قال روفوس بنعومة: «أخبرتني هولي عن اقتراحك بأن تأخذ دروساً في الفروسية».

آه! إنه يريد التحدث عن ابنته. هذا أمر مختلف!

قالت وهي تبعد أصابعها عن سياج الدرج: «قليل من شراب التفاح قد ينعشني».

استدارت لتنزل الدرجات الخمس لتصل إلى القاعة. لم تكن متأكدة تماماً من ردة فعلهما، ما إن يجلسا في دفء وهدوء غرفة الجلوس العائلية الصغيرة، فقد أصبحت أكثر إحساساً بروفوس ما إن جلس إلى مقعد قبالتها. راحت تحدق بذراعيه القويتين، وهو يمد يديه أمامه بارتياح ممسكاً كوبه بأصابعه الرشيقة الطويلة.

اتفقا للتو أن أي اتصال عاطفي بينهما، لن يتم إلاّ بناء على طلبها، وها هي في غضون عشر دقائق لإبرام ذلك الاتفاق، تتوق إليه بقوة لدرجة أنها غير قادرة على التفكير بمنطق ووعي. حركت الكوب في يديها قبل أن ترشف منه، وشعرت على الفور بالغثيان ما إن وصل الشراب إلى معدتها الفارغة.

التقت اثنتين من صديقاتها في مطعم لتناول العشاء، لكنها لم تأكل شيئاً. إن لم تكن حذرة فقد تصاب بالإغماء، فيقدم روفوس على

وضعها فوق كتفه وحملها إلى الطابق العلوي وهي فاقدة للوعي. قالت وهي تضع الكوب على الطاولة: «ذكرت لي دروس الفروسية لهولي».

راقبها روفوس من بين جفونه. كالعادة، لم تستطع غابرييلا أن تقرأ شيئاً مما يفكر به.

- قالت لي إنك ترغبين في أخذها إلى نادي الفروسية الذي اعتدت الذهاب إليه.

هزت رأسها وأجابت: «إذا وافقت بالطبع. لم أزعج نفسي يوماً بالحصول على سيارة، فالعيش في فرنسا والآن في لندن لا يشجعني على امتلاك واحدة، لكنني أجيد القيادة، وأنا متأكدة أن هناك عدداً من السيارات في القصر. بإمكاني استعارة واحدة في الصباح».

قال بضيق: «لم أكن أسألك كيف ستصلين إلى هناك، غابرييلا».

قطبت جبينها، وهي تشعر بالضيق بسبب عدم تناولها أي طعام اليوم، سألته: «إذاً ما الذي تسأل عنه؟».

رفع روفوس كتفيه وأجاب: «إن كنت متأكدة أن أخذها فعلياً إلى هناك لن يسبب لك الإزعاج».

أخيراً شعرت أنها تحرز التقدم مع هولي في وقت مبكر من هذا اليوم، فسعادة الفتاة الصغيرة بالكتاب الذي جلبته لها مؤثرة فعلاً، تماماً كما كان حماسها عندما ذكرت لها غابرييلا دروس الفروسية. لكن إن كان روفوس يفضل أن يأخذها إلى هناك بنفسه...

أجابت بدون أي اهتمام: «حسناً! سأعطيك رقم هاتف النادي الذي كنت أذهب إليه، إن أردت اصطحابها بنفسك، لكنني متأكدة أنه يوجد في المنطقة عدد من نوادي تعليم الفروسية إن كنت تفضل أخذها إلى مكان آخر».

أحس روفوس بالألم. شعر للحظة كأنه يضرب رأسه بجدار من الحجارة في ما يتعلق بها هذا المساء.

- غابرييلا، لم أكن اقترح ألاّ تأخذي هولي بنفسك، بل أحاول أن أعطيك مخرجاً إن كنت لا ترغبين في القيام بذلك.

قالت تتحداه: «لِم لا أرغب في القيام بذلك، إن كنت أنا من عرض عليها الأمر؟».

تنهد بقوة قبل الإجابة: «غابرييلا! ما الذي فعلته وجعلك هجومية هكذا؟».

ما الذي فعله؟ أيستطيع أن يسأل؟ إنه يعلم تماماً ما الذي فعله! هل اعتقد أن دايفيد بروستر لن يخبرها بشأن أوراق الطلاق التي طلب من المحامي تجهيزها؟

كادت تسمع نبرة الصدمة في صوت دايفيد بروستر عندما اتصلت به صباح هذا اليوم، وسألته إن كان راغباً في إخبار روفوس عن الاتفاق الذي طلبت منه أن يعده، وأكد لها أن لا رغبة لديه مطلقاً في إخبار روفوس أي شيء عن ذلك حتى يحين الوقت المناسب. لكنه أيضاً أخبرها لماذا كان يحاول الاتصال بروفوس.

بما أن دايفيد بروستر يتعامل مع كليهما بخصوص هذه المسألة، فهو لم يجد أي إحراج أو تحفظ في إخبارها أن أوراق الطلاق أصبحت جاهزة لإتمام انفصالهما في الوقت المحدد، كما طلب السيد غريشام... كما طلب روفوس...

لاشك أنه قام على الفور بالاتصال بالمحامي، ما إن شاهد غابرييلا وطوبي معاً في المطعم. هذا يعني أنه لم يصدق كلمة مما قالته. حسناً! هذا ما يحدث دائماً. والآن ها هو يتساءل ما الذي فعله، وجعلها هجومية هكذا. هذا كثير عليها، لأنها أدركت كم هي مغرمة به!

لمعت عيناها بالغضب وهي تنظر إليه قائلة: «لم أعلم أنني توقفت عن كوني هجومية معك».

وقفت على نحو مفاجئ وهي تتابع: «والآن أخبرني ماذا قررت

بشأن دروس الفروسية لهولي».

وقف روفوس بدوره وهو يشعر بإحباط كبير، لأنه غير قادر على فهم سبب هذا الغضب في نقاشهما. عاد من نيويورك، وهو يشعر بتغير في ذاته عما كان عليه قبل ذهابه، فقد شاهد حب جين لروب وهي تراقب الحياة تنحسر منه، ورأى كيف انهارت تماماً عندما توفي. وعلم أنها بحاجة إلى أشهر، إن لم نقل سنوات، لتتمكن من التخلص من آثار ما حدث في حياتها.

هذا ما حدث تماماً لوالده عندما توفيت هيثر. إن أراد قول الحقيقة، فحب والده لهيثر كان عميقاً لدرجة أنه لم يرغب في الاستمرار بالحياة بدونها.

تمنى روفوس الآن لو أنه تعرف على هيثر بصورة أفضل، وتمنى لو أنه لم يسمح لسخريته وأوهامه بعد زواجه الكارثي من أنجيلا أن يؤثر على تلك العلاقة ويقضي عليها.

النساء يهتممن فقط بما يستطعن الحصول عليه! هذا ما قرره بعد طلاقه من أنجيلا، وحقيقة أن والده أعطى هيثر مئة ألف جنيه قبل أن يتزوجا أكدت له ذلك الاعتقاد. لكن إن فكر ملياً بالأمر فهو لا يستطيع أن يفهم، كيف يمكن لشخص فائق الذكاء كوالده أن يغرم بامرأة جشعة ومتآمرة. هذا يعني أن هيثر لم تكن كذلك أبداً. لابد أن هناك سبباً منطقياً لحاجتها لذلك المال... سبباً رفضت غابرييلا أن تشاركه به.

من يستطيع أن يلومها، بعد ذلك الكلام الذي قاله عن أمها؟ وعنها أيضاً...

أدرك روفوس أنه تغير بالفعل. ليس فقط لأنه شاهد خسارة جين، فالشوق الكبير الذي يشعر به نحو غابرييلا يدفعه ليتساءل عن آرائه التي كوّنها بسبب سخريته وانغماسه في أوهامه الخاصة.

لكن لسوء الحظ، الخسارة والألم اللذان سببهما لغابرييلا ما زالا

ماثلين أمامها، وهذا يحكم كل كلمة تقولها له.

إن أراد أن تصبح الأمور مختلفة بينهما، عليه أن يغير طريقة تصرفه معها. قال بصوت يضج بالعاطفة: «بشأن دروس الفروسية لهولي، أحب أن تأخذيها بنفسك، إن كنت متأكدة أنك لا تمانعين».

نظرت غابرييلا إليه بفضول. لم تجد أي أجوبة في الملامح القاسية على وجهه.

قالت بهدوء: «ما كنت لأعرض عليهاالذهاب لو أنني لا أريد القيام بذلك».

رفع روفوس كتفيه، وعلق: «إنه ارتباط طويل الأمد».

- أنا مستعدة لذلك طوال الأشهر الستة، وعندما ينتهي كل ما بيننا، أنا متأكدة أنك ستتمكن من إيصال هولي بنفسك حينها.

ما إن ينفصلا، وتصبح بعيدة عن حياتهما معاً! علق روفوس عمداً: «ستبقين قريبتها غابرييلا حتى بعد ذلك».

قطبت غابرييلا جبينها وهي تنظر إليه، متسائلة لماذا فكر في ذكر هذه القرابة المزعجة له.

- عندما تنتهي مدة الأشهر الستة، من الأفضل للجميع ألاّ نلتقي أبداً أو نرى بعضنا ثانية.

تنهد روفوس بضيق بسبب مرارة الكلمات التي تفوهت بها، إنها حقاً لا تستطيع الانتظار حتى تتخلص من هذا الزواج ومنه. أليس كذلك؟

لكن لماذا يتوقع منها أن تشعر بأي شيء مختلف عما تقوله؟ قام بإزعاجها والسخرية منها منذ اللحظة الأولى التي التقيا فيها، وضاعف سخريته منذ أن أجبرا على هذا الزواج. كما أن استجابة غابرييلا له بشوق، لا تعني أنها لا تكرهه. في الواقع ربما تكرهه أكثر بسبب استجابتها له.

ها هو من جديد يدرك أنه هو من تغير، لكنه ما زال يحصد نتائج

أفعاله السابقة. تنهد قائلاً: «يؤسفني أنك تشعرين بهذا».

ضحكت غابرييلا بلا أي إحساس بالمرح، وأجابت: «بطريقة ما، أشك بإحساسك بالأسف».

نظر روفوس إليها بحيرة. هو لا يريدها أن تغادر والجو بينهما متوتر.

- غابرييلا! أعلم أنك لم تقابلي طوبي هذا المساء.

تصلب جسدها من الغضب. قالت بعصبية واضحة: «وكيف تعرف ذلك؟».

ابتسم قائلاً: «لأنني عندما حاولت الاتصال به في وقت سابق، أخبرني رفيقه في الشقة، أن طوبي في أميركا. إنه يقوم بتجربة أداء لدور في فيلم عالمي».

ابتسمت له غابرييلا ابتسامة مماثلة لضحكتها السابقة الخالية من أي مرح أو سعادة.

- حسناً! إنه لأمر مخزٍ أن تدرك أنني لم أكن أكذب عليك بشأنه، هذا على الأقل ما أعتقده.

- غابرييلا!

قاطعته بغضب صارخ: «لماذا كنت تحاول الاتصال به؟ لا! لا تزعج نفسك بالإجابة، يمكنني بسهولة أن أعرف الجواب».

تنهدت بضيق، وأضافت بنبرة تحمل حزماً واضحاً: «إنني متعبة روفوس، وأرغب في الذهاب إلى النوم».

تركها روفوس تغادر، لأنه علم أن ليس هناك أي شيء يمكن أن يقوله الليلة لتحسين الأمور بينهما، بل على العكس، كل ما يقوله يجعل الأمور بينهما أكثر سوءاً.

هذا إذا كان من الممكن أن تصبح أكثر سوءاً مما هي عليه.

١٠ - اعتراف مفاجئ

- أحتاج إلى التحدث إليك، غابرييلا.

رفعت غابرييلا نظرها عن الكتاب الذي كانت تقرأه، متفاجئة لرؤية روفوس يدخل غرفتها بهدوء كلي، من دون أن تلاحظ ذلك.

هذا حضور غير متوقع وغير عادي، لأنها خلال الأسبوعين الماضيين، حرصت على التأكد من موضع روفوس بالتحديد عندما يكون في المنزل، وعملت جاهدة على تجنب التواجد في أي مكان قريب منه. لهذا السبب، اختارت البقاء في غرفة نومها هذا المساء لتقرأ كتاباً، عندما علمت أن روفوس يتجول في الطابق الأرضي.

نظرت إليه ببرودة، مصممة على عدم الشعور بأي انجذاب نحو وسامته الطاغية التي يتفاخر بها دائماً، إلاّ أن قلبها راح يدق بسرعة لمجرد رؤيته، كما شعرت بكل ما فيها يلتهب شوقاً إليه.

سألته بقسوة: «ما الذي تفعله في غرفة نومي؟ اعتقدت أننا اتفقنا أنني أنا سأذهب إليك في المستقبل، هذا إن رغبت بذلك، وكما لاحظت أنا لم أفعل».

تعلم غابرييلا كم أن روفوس وسيم وجذاب. تفاجأت، وهي تشعر بخيبة أمل، أنه استطاع المحافظة على وعده. شعرت برغبة محبطة في بعض الليالي كي تذهب إليه، عالمة أنه في الطابق الارضي، فتضيع بين ذراعيه، لكنها لم تفعل ذلك أبداً. هي تعرف أن روفوس يرغب في الطلاق منها عند أول فرصة، وهذا أمر كاف ليقضي على كل آمالها.

قال روفوس ما إن أصبح داخل الغرفة وأغلق الباب وراءه: «لاحظت ذلك بالتأكيد».

شعرت غابرييلا بأجراس الإنذار تقرع في رأسها، فحبست أنفاسها التي شعرت بها تتقطع في صدرها، كما شعرت بخديها يتوردان ما إن جالت نظرته عليها، وهو يسير فوق السجادة ليصل إلى حيث تجلس.

يا إلهي! إنها تشتعل شوقاً لمجرد النظر إليه ومن دون أن يلمسها.

حاول روفوس ألاّ يدع شوقه لغابرييلا يظهر في نظرة عينيه وهو يحدق بها. بدت الكبرياء واضحة في ملامح وجهها وجمال جسدها الفاتن المختبئ تحت قميص ضيقة وسروال يلف ساقيها الطويلتين.

ضغط قبضتي يديه إلى جنبيه، وهو يعترف برغبته في ضمها إلى صدره، ليعانقها بلهفة تجعلها تشعر بشوق مماثل لشوقه إليها.

كان مخطئاً عندما افترض أن الأمور لا يمكن أن تصبح أشد سوءاً مما كانت عليه بينهما. بالكاد تحدثا إلى بعضهما خلال الأسبوعين الماضيين، كما أن غابرييلا تعمدت أن تتجنبه قدر ما تستطيع، ما جعله يشعر كأنه يعيش في كابوس دائم. كانت تخرج من الغرفة ما إن يدخل إليها، ومن النادر أن تأكل في المنزل هذه الأيام. بالأحرى من النادر أن تأكل، وفقدانها لوزنها هو خير دليل على ذلك. كما أنها تمضي معظم الأمسيات في غرفتها، مانعة عنه بشكل مطلق أي محاولة لكي يراها أو يتحدث إليها. تماماً كما فعلت هذه الأمسية.

لم يعد روفوس قادراً على تحمل ذلك. إنه يتوق إلى هذه المرأة لدرجة أنه يشعر بالألم من بعادها. فهو لا يستطيع الأكل، ولا يستطيع النوم. مجرد التفكير أن ليلة أخرى ستمر من دون أن تكون بين ذراعيه أمر لا يحتمل، وهو مرفوض بشكل مطلق. لهذا السبب أتى إليها. هو يعلم أنها طلبت منه ألاّ يفعل، لكنه غير قادر على البقاء بعيداً عنها أكثر من ذلك. إنه يحتاج إليها. لابد أنه سيصبح مجنوناً إن لم يحصل عليها.

أجبرت نفسها على تحمل قوة نظراته وهو يتابع التحديق بها. هي تعلم أنها فقدت بعضاً من وزنها، وهذا أمر لا يحسن مظهرها. فوجهها يبدو نحيلاً جداً، كما أن بعض ثيابها أصبحت فضفاضة عليها. في الواقع، لم تعلم من قبل أن بإمكان المرء أن يصبح بهذا النحول من دون بذل أي مجهود.

قطب روفوس جبينه وهو يسألها: «تبدين متعبة، غابرييلا. هل إدارة المطعم مرهقة إلى هذا الحد؟».

أشرق وجهها ما إن ذكّرها بسبب فرحها. شعرت بالرضى لأنها قادرة على التحدث عن موضوع حيادي.

في الواقع، حظيت بنجاح واضح خلال الأسبوعين الماضيين، وبعض زبائنها الأوائل أصبحوا زبائن دائمين في أقل من أسبوعين على الافتتاح، كما أنهم نصحوا أصدقاءهم بزيارة المطعم أيضاً. هذا ما كانت غابرييلا تأمله دائماً، لكنها فشلت في تحقيقه في المرة الأولى.

أكدت له مستعينة بطاقتها القديمة: «لا، مطلقاً! عليك أن تجرب طعامه في وقت ما، فمعظم موظفي غريشام فعلوا ذلك».

هزّ روفوس رأسه وهو يبتسم: «هذا ما سمعته، غرفة الطعام الفاخرة تكاد تبقى فارغة منذ أن افتتحت المطعم».

أضاف برضى وموافقة: «كما أنه من الجيد أنك أعدت بعض أفراد فريق العمل السابق، أيضاً».

عندما علمت غابرييلا أن روفوس وظف النساء الأربع اللواتي كنّ يعملن في المقهى في أقسام أخرى من شركة غريشام، شعرت بالسعادة فعلاً بأن تعرض عليهن فرصة العودة إلى عملهن السابق. ثلاث منهن قبلن العرض بفرح وسعادة، أما الموظفة الرابعة وهي تعمل الآن في قسم الديكور، فإنها تستمتع بعملها بشدة ولا رغبة لديها في تركه، لذا رفضت طلبها.

لكن روفوس فوجئ لأنها فكرت بأولئك النسوة في الواقع. قالت غابرييلا بغضب، كأنها تدافع عن نفسها: «لِم لا أفعل ذلك؟».

هي تعلم أن روفوس يعتقد أنها أنانية جداً، وأنها لن تفكر للحظة بأولئك النساء اللواتي فقدن عملهن.

تنهد روفوس، إذ علم أنها أساءت فهمه من جديد. يبدو أنه غير قادر على قول أي شيء مناسب عندما يتعلق الأمر بغابرييلا.

قال لها باستياء: «قصدت الإطراء على ما تفعلينه غابرييلا، ولست أنتقدك أبداً».

نظرت إليه لعدة لحظات. أخيراً تمتمت بقلق:

- آه!

ابتسم روفوس، وقال: «أخبرتني هولي أنها تستمتع جداً بدروس الفروسية».

أخبرته هولي بأكثر من ذلك، لكنه متأكد أن غابرييلا لا تريد أن تسمع منه أن هولي موافقة وسعيدة بوجود زوجة أبيها، وأنها أضافت معلقة وهي تتحدث إليه الليلة «. . . ليت الخالة غابرييلا تبقى زوجة لك على الدوام».

توصل روفوس إلى هذا الاستنتاج نفسه بسرعة أيضاً، لكن يبدو بمنتهى الوضوح أن غابرييلا لا تتحمل التواجد في أي مكان قربه، وهذا أمر لا يسره مطلقاً.

هو يعلم أن غابرييلا لا تستطيع الانتظار حتى ينتهي هذا الزواج. لا تستطيع الانتظار ليصبح بعيداً عن حياتها!

هزت غابرييلا رأسها موافقة على ما قاله، وأجابت: «إنها ماهرة بالفعل، وهذا أمر طبيعي، كما قال لي مدربها في نادي الفروسية».

هز روفوس رأسه وقد بدا مشتتاً، لأنه يبحث عن شيء آخر ليحدثها بشأنه، فهو لا يريد الابتعاد عنها. إن لم يستطيع التفكير بأي شيء آخر،

بإمكانه على الأقل النظر إليها.

- ما زال طوبي في أميركا.

توقف عن الكلام بصورة مفاجئة، لأنه علم أنه أخطأ بدون شك في ما قاله، ما إن رأى كيف اختفت ابتسامة غابرييلا، كما أن نظرتها عاودها القلق من جديد.

هزّ رأسه باشمئزاز من نفسه، وتابع: «انسي أنني قلت ذلك، تباً! أتيت إلى هنا من أجل. . . من أجل. . .».

قاطعته غابرييلا بقسوة: «أجل. لماذا أتيت إلى غرفة نومي من دون أن أدعوك، روفوس؟ ألكي تهينني من جديد؟ أم لتسأل إن كنت قد سمعت شيئاً عن طوبي أم لا؟ أقول لك إنني لم أسمع عنه أو منه أي شيء. كما أنني لا أريد أن أسمع باسمه أيضاً».

أضافت بغضب وهي تقف: «أم تراك أتيت لتمطر أمي بالمزيد من إهاناتك؟ فهذا ما يحدث عادة بعد مرور دقيقتين من وجودنا معاً!».

لمعت عيناها بقوة من شدة الغضب وهي تتابع: «هيا، روفوس! أنا حقاً مهتمة جداً لأعرف ما الذي تفعله هنا».

أخذ روفوس نفساً عميقاً، فيما ابتلع الجواب الهجومي الذي كاد يتلفظ به، لأنه يعلم أنه لن يحقق شيئاً من خلال ذلك، إلا تعميق بؤسه.

أغمض عينيه للحظة قصيرة قبل أن يفتحهما من جديد، مجبراً نفسه على ألاّ يقابل الغضب بالغضب، كما يفعل دائماً. همس بعاطفة صادقة: «أتريدين حقاً أن تعلمي ما الذي أفعله هنا؟».

أجابت بسخرية: «إنني متلهفة من شدة الفضول! وبالكاد استطيع الانتظار لسماع الحلقة التالية من اتهاماتك!».

علم روفوس أنه يستحق سماع ذلك، بل يستحق أكثر منه، لكن هذا الشوق الذي يحمله لغابرييلا، وهذه الحاجة ليكون بقربها، هما أبعد من سيطرته. من الصعب عليه جداً أن يعترف بذلك لنفسه، فكيف

بالاعتراف لغابرييلا به! لكن إن لم يشأ أن يمضي الأشهر الخمسة القادمة في الجحيم، عليه أن يحاول.

قال لها وهو يتنهد: «لا اتهامات، غابرييلا! مجرد اعتراف صادق أن شوقي إليك، وعدم إمكانية التواجد في أي مكان قربك، يقودانني بكل بساطة إلى الجنون».

حدقت غابرييلا به، وهي تشعر بصدمة كبيرة. روفوس يشتاق اليها، تماماً كما تشتاق إليه؟!

لكنها ما كانت لتعترف له بذلك أبداً. إنها تفضل البقاء في غرفة نومها طوال الأشهر الخمسة القادمة بدلاً من أن تذهب إليه وتخبره بذلك، مع ذلك هذا ما فعله روفوس بالتحديد.

لكن هل الرغبة بها والشوق إليها كافيان؟

هذا كل ما يقدمه روفوس الآن... ومع أنها تريد أكثر من ذلك، لكن إن أرادت قول الحقيقة، فالشوق إليه يفقدها توازنها هي أيضاً.

ابتسم روفوس بحزن ما إن رأى الدهشة على ملامح وجهها.

- هذا كل شيء، غابرييلا. انزلي فقط لتناول العشاء في بعض الأحيان. هل تستطيعين؟ أنا لن أطلب أكثر من ذلك. كل ما أريده هو أن تتوقفي عن تجنبي بالطريقة التي تفعلينها، وهذا ليس بالمطلب الكبير. أليس كذلك؟

نظر اليها بحذر محاولاً أن يرى ردة فعلها على ما قاله. في الواقع، لديه كل الحق بأن يشعر بالحذر بعد ما أخبرها به. لم تتصور غابرييلا مطلقاً أن روفوس سينتهي به الأمر بأن يرغب بها بهذه الطريقة، ويقول لها ذلك.

أتراه يحاول إغواءها ليحصل عليها من جديد؟ هذا ما كانت تشعر به طوال الأسبوعين الماضيين لكنها لم تظن مطلقاً أنه سيقول لها ذلك بتلك الطريقة الصادقة.

تنهد روفوس لأنها لم تقدم له أي إجابة.

- حل شاعري، أليس كذلك؟ سأتركك الآن لتعودي إلى كتابك.

هز رأسه مفكراً، قبل أن يستدير على عقبيه ويتحرك بسرعة عبر الغرفة، وما لبث أن أغلق باب غرفة نومها بثبات وراءه. سيتركها لتعود إلى كتابها؟! بعد أن أخبرها أنه يريدها... لابد أنه يمزح!

كيف يمكن لها أن تفكر بأي شيء آخر، وأن تركز على أي شيء آخر، بعد أن أخبرها روفوس بذلك؟

بدلاً من ذلك أخذت غابرييلا تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وهي تشعر بالقلق، لأنها تواجه معركة قاسية مع نفسها. اعتراف روفوس لم يغير أي شيء... لا شيء... فهو لا يزال يعتقد أنها وأمها جشعتان، وأنهما كانتا لطيفتين مع جيمس من أجل ماله فقط. كما أنه لا يصدق ما قالته له عن طوبي، مع أنها تشعر بالفضول لأنه ما زال يحاول الاتصال بابن عمته. أخيراً، وبشكل محدد، طلب من دايفيد بروستر أن يحضر الأوراق لإتمام عملية الطلاق بينهما.

حسناً! هذا ما كان عليه الاتفاق عندما تزوجا، وبإصرار من كليهما، إذاً لماذا هي الآن غاضبة لأن روفوس يخطط سلفاً لذلك الطلاق؟

آه! لأن ذلك يؤلمها جداً، هذا هو السبب. لأنها مغرمة به، ولأنها الآن بعد أن عاشت معه، لا تستطيع أن تتحمل التفكير بانفصالهما، لا سيما بعد أن علمت أنه ينظم أوراق الطلاق.

حسناً! ها هي هنا الآن. إنها تتجنبه بكل طريقة ممكنة، رافضة الاعتراف بشوقها الكبير له، وهذا يجعلها يائسة وحزينة جداً. والآن، روفوس يقول إنه متلهف للتقرب منها وهو سيكون لها طوال الأشهر الخمسة القادمة في أي وقت وفي أي مكان تريده. بدلاً من البقاء في حالة من اليأس وإنكار الذات، تستطيع أن تستمتع بالشغف الذي تعلم جيداً أن روفوس قادر على تقديمه لها.

خمسة أشهر سوف تكفيها لتعيش حياتها كلها على ذكراها. إنها تستحق ذلك. أليس كذلك؟

إنها امرأة في الثالثة والعشرين من عمرها، وتدرك تماماً حاجاتها ورغباتها، كما أنها لم تعد تلك المراهقة المفتونة به وكأنها تلميذة يافعة. إن روفوس في الطابق الأرضي، ينتظر دعوتها التي رفضت بعناد أن تقدمها له طوال الأسبوعين الماضيين.

* * *

سمعت غابرييلا رذاذ الماء ينهمر من غرفة الحمام المتصلة بغرفة نوم روفوس ما إن دخلت إليها. قطعت الغرفة حافية القدمين، ثم دخلت بهدوء إلى غرفة الحمام.

كان صوت المياه المنهمر قد توقف في هذه الأثناء.

رأت روفوس واقفاً بجسده الرشيق وعضلاته القوية وهو يلف منشفة على وركيه.

حدقت به، ثم مدّت يدها لتلتقط منشفة أخرى، وراحت تساعده في تجفيف كتفيه وظهره.

هل غابرييلا هنا، أم أن ما يشعر به هو مجرد وهم من صنع خياله؟ إن كان هذا وهماً، فهو لا يريد أبداً أن يصحو من وهمه هذا.

أبقى روفوس عينيه مغمضتين، وهو يشعر كأنه ضائع تحت سحر يديها.

نادته غابرييلا بصوت أجش: «روفوس!».

فتح روفوس عينيه، لينظر إليها بدهشة غير مصدق ما يراه.

سرعان ما ضمها إليه قائلاً: «آه! انت حقيقة إذاً، وأنا لست أحلم. كم أنت رائعة غابرييلا ماريا لوسيا غريشام!».

ضحكت غابرييلا بسعادة، وعلقت: «أنت أيضاً رائع روفوس جيمس غريشام».

نظر روفوس إلى عينيها البنفسجيتين المتوهجتين وإلى وجهها المتورد. قال:

- لن أسألك ما الذي دفعك إلى تغيير رأيك.

هز رأسه متابعاً:

- لكنني أشكر حظي الرائع لأنك فعلت ذلك!

نظرت إليه غابرييلا، وابتسمت برضى وسعادة.

ضمها روفوس بين ذراعيه، وحملها إلى غرفة النوم.

قالت معترضة: «سنجعل السرير رطباً، فأنت لم تنشف جسمك جيداً بعد».

قال بسخرية: «هذا آخر ما يمكن أن يشغل تفكيري في الوقت الراهن».

- حسناً! ما الذي يشغل تفكيرك إذاً؟

- أنت... أنت فقط تشغلين تفكيري حبيبتي!

هز روفوس رأسه، وأكد لها بصوت مضطرب من شدة العاطفة: «ما دمت بقربك، فأنا أسعد رجل في هذا العالم».

هو لم يشعر مرة بمثل هذا الإحساس مع أي امرأة من قبل. ما زال شوقه إليها ورغبته بها على حالهما، ولم يتبدلا مطلقاً. عانقها روفوس بكل ما لديه من إحساس بالشوق إليها، وبادلته غابرييلا العناق بشوق مماثل.

مرت دقائق غرقا خلالها في بحر مشاعرهما العميقة غافلين عما حولهما. غابا معاً في علاقة حميمة، فجرت أحاسيسهما المكبوتة منذ زمن.

علم روفوس أنه لن يتمكن مطلقاً من الإحساس بالاكتفاء، وأن تعلقه بغابرييلا والبقاء بقربها أصبحا متغلغلين في دمه الآن. وعلم أيضاً أن هذا ما سيكون عليه الأمر دائماً. ستبقى غابرييلا دائماً جزءاً منه.

في صباح اليوم التالي، استيقظت غابرييلا ببطء وكسل، وهي تشعر بسعادة قصوى. لكنها سرعان ما اكتشفت أنها بمفردها في السرير.

ما زال السرير بجانبها دافئاً من وجود روفوس، لكنه ليس هناك. بدلاً منه، وجدت ورقة بيضاء على الوسادة كتب عليها: «حبيبتي غابرييلا! ذهبت لرؤية طوبي».

«زوجك روفوس».

١١ - لن أعيش... بدونك

- غابرييلا! لماذا لم تردي على أي من اتصالاتي؟

قطبت غابرييلا جبينها عبر المطبخ في مطعم غابرييلا، ما إن وقف روفوس عند الباب.

بدا وجهه متوتراً جداً، وشعره الأشقر أشعث، كما أن سرواله وقميصه القصيرة الكمين متجعدان، كأنه كان يرتديهما أثناء سفره.

من الواضح أنه أتى إلى هنا مباشرة بعد رؤية طوبي في أميركا.

- اتصلت بك أكثر من ست مرات خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة.

قال ذلك متهماً وهو يدخل بقوة إلى المطبخ، ويغلق الباب وراءه.

اتصل بها سبع مرات بالتحديد، وغابرييلا تعرف ذلك؛ مرتين إلى هنا بعد ظهر يوم البارحة، وخمس مرات إلى منزل غريشام مساء البارحة أيضاً. وهي رفضت أن تجيب على أي اتصال منها.

ما الغاية من ذلك؟

إن كان بإمكان روفوس أن يتركها هكذا بعد أن أمضيا الليل معاً، ويذهب للتحدث إلى طوبي من بين كل الناس، إذاً ليس هناك فعلاً ما يمكن أن يقولاه لبعضهما البعض.

رفعت كتفيها، قائلة: «كنت منشغلة».

تابعت ترتيب المطبخ من دون أن تنظر إليه، فهي تعمل على إعادة كل ما استعملته أثناء تحضير الغداء لهذا اليوم إلى مكانه. شعرت بالفرح

لأن لديها ما يكفي من الوقت الآن لتأخذ استراحة، فهي غير متماسكة أبداً كما تتظاهر أمام روفوس.

أمضت غابرييلا معظم الساعات الأربع والعشرين الأخيرة وهي تبكي...

بكت طوال نهار البارحة بعد أن استيقظت ووجدت أنه سافر...

بكت أيضاً حتى نامت ليلة البارحة...

ثم بكت من جديد هذا الصباح ما إن استيقظت...

لكن لا يمكنها أن تستمر بذلك، كما أنها لا تستطيع الاستمرار في هذا الزواج الخالي من الحب بعد الآن، مهما كان الثمن.

قال روفوس باهتمام: «غابرييلا! ما بك؟».

قطع الغرفة بسرعة، ما إن رآها ترتنح بضعف. وضع يده تحت ذقنها ليرفع وجهها إليه، وهكذا لم يعد لديها أي خيار إلا أن تنظر إليه.

يا إلهي! إنها تحب هذا الرجل... تحبه إلى درجة الضياع، لذلك عليها أن تتركه وتبتعد عنه.

التقت عيناها بعينيه، ومن دون أن ترمش، قالت له بحزم: «أريد أن أبتعد عنك، روفوس! لا بعد خمسة أشهر، بل الآن».

شعر روفوس بالذهول، وشحب وجهه. هز رأسه منكراً ما سمعه: «ماذا؟ أنت لا تعنين ذلك، غابرييلا».

قالت غابرييلا بمنتهى الوضوح والصراحة: «آه! بل هذا ما أعنيه تماماً».

قال بإصرار: «لا!».

نظر حوله بإحباط. هذا مكان غير مناسب مطلقاً لنقاشهما.

- علينا الخروج من هنا، غابرييلا! أنا بحاجة إلى التحدث إليك. لأشرح لك...».

قاطعته بنعومة: «فات الأوان على التفسير والشرح، روفوس! ألا

تفهم؟ لا أستطيع تحمل ذلك بعد الآن. ليس الأمر أنني أريد الذهاب إلى طوبي. كل ما في الأمر، أنني لا أستطيع العيش معك بعد الآن».

ابتلع روفوس غصة تشكلت في حلقه، غير قادر على تجاهل الاقتناع الكامل في نبرة صوتها. هزّ رأسه غير مصدق ما يجري معه، ثم قال: «لا، غابرييلا! لن أدعك تفعلين ذلك».

ابتسمت بحزن قائلة: «لا يمكنك أن تمنعني، روفوس. أنا آسفة حقاً، لكنني لا أستطيع».

توقفت عن الكلام كأنها غير قادرة على النطق بأكثر من ذلك. أضافت بعد قليل وهي تشيح ببصرها عنه: «لا أستطيع العيش هكذا بعد الآن».

نظر روفوس إليها بقوة، لاحظ الدوائر السوداء تحت عينيها، والشحوب الواضح على خديها.

علم أن عليه القيام بشيء ما، عليه أن يقول شيئاً ما ليمنع هذه المرأة الرائعة من هجره. والأمر الوحيد الذي يستطيع قوله: «غابرييلا، أنا أحبك!».

تنفس بقلق، وكرر: «أحبك، غابرييلا!».

وضع يديه على أعلى ذراعيها، وهزها برفق.

ارتفعت رموشها السوداء الطويلة عن عينيها بقوة. نظرت غابرييلا إليه بشك وحيرة، كأنها تحاول أن تتأكد إن كان يقول الحقيقة أم لا.

علم روفوس أنه يستحق شكها، إنه يستحق كل اتهام أطلقته عليه يوماً. أما هي، فلم تستحق يوماً تلك الاتهامات الكثيرة التي لطالما أمطرها بها.

قال يشجعها بصوت مضطرب من العاطفة: «لنذهب من هنا. أنا من سيتحدث، غابرييلا. من فضلك، اصغي إلي! إن بقيت راغبة في الرحيل بعد ذلك، سأساعدك كي ترحلي».

وعدها بذلك بكل صدق، وهو يعلم أنه سيموت إن فعل ذلك، لكنه أدرك أن لا خيار آخر أمامه. لا يستطيع الاحتفاظ بهذه المرأة الجميلة رغم إرادتها.

نظرت غابرييلا إليه باستياء، فهي لم تفهم شيئاً من ذلك كله. أيعقل أن روفوس، ومن بين كل الناس، قال لها بالفعل إنه يحبها، من دون أن يعلم الحقيقة بشأن أمها؟ ما الذي أخبره إياه طوبي ليحدث هذا التغير؟

لم تدرِ غابرييلا ما الذي يجدر بها أن تفعله. القرار الذي اتخذته خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، لم يكن سهلاً. بدا لها القرار الأنسب. والآن، هناك شمعة صغيرة من الأمل بدأت تشتعل في أعماقها، لكنها ليست متأكدة تماماً.

رأى روفوس حيرتها، فعمل على متابعة الضغط عليها.

قال: «تعالي معي، لنتمكن من الكلام... لكي أشرح لك ما حدث. من فضلك، غابرييلا!».

هزت رأسها قليلاً، وأجابت: «لدي المطعم...».

قال بتوتر محاولاً إقناعها: «انتهى موعد الغداء، كما أنني تحدثت مع النادلات في الخارج، وقلن إن بإمكانهن تدبر الأمور بدونك لفترة».

لم يشعر يوماً أنه يائس كما يشعر الآن، وهو يحاول إقناع غابرييلا كي توافق على الأقل على الإصغاء إلى ما سيقوله.

تنهدت غابرييلا بنفاد صبر قائلة: «حسناً! لكن...».

أصر روفوس بقوة: «بدون لكن، غابرييلا!».

لاحظ أنها ما زالت ترتدي زي العمل في المطعم. تردد قبل أن يسألها: «ألديك غير هذه الثياب؟».

لم تستطع غابرييلا إلا أن تبتسم بسبب ملامح الاستغراب التي بدت على وجهه.

قالت تؤكد له: «بالطبع لدي غير هذه الثياب، فمن الصعب التنقل

في القطارات بهذا الزي!».

أردفت بسرعة: «سأقابلك في مكتبك بعد عشر دقائق، إن كان ذلك يناسبك؟».

أكد لها بجزم: «عشر دقائق أم عشر ساعات غابرييلا، فأنا سأبقى هناك بانتظارك».

نظرت إليه للحظة مفكرة، وهي تحاول أن تفهم ما يجري. بدا مختلفاً جداً عندما عاد من نيويورك منذ أسبوعين أو أكثر قليلاً، لكنه الآن يبدو أكثر تغيراً، كما أنه قال لها إنه يحبها!

لهذا السبب أسرعت في تبديل ثيابها. ارتدت قميصاً سوداء مطرزة بألوان زاهية فوق سروال من الكتان الناعم أسود اللون أيضاً، ثم اتجهت نحو المصعد لتستقله، وتصعد إلى الطابق السادس حيث يقع مكتب روفوس.

ابتسمت ستاسي ما إن دخلت غابرييلا المكتب الخارجي.

- ادخلي حالاً، فهو بانتظارك.

دخلت غابرييلا مكتب روفوس بخجل، متوقعة أن تراه وراء مكتبه. بدلاً من ذلك رأته يخرج من غرفة الحمام الداخلية، وقد خلع قميصه، وهو يغتسل ليزيل عنه آثار السفر. اتسعت عيناها ما إن نظرت إلى صدره العريض وكتفيه السمراوين وخصره النحيل.

ابتسم روفوس بحزن ما إن رأى نظرة القلق على وجهها، وقال: «لا تقلقي! سأضع قميصاً علي على الفور».

أخذ قميصاً نظيفة من وراء الباب ثم ارتداها على الفور، أقفل الأزرار لكنه لم يزعج نفسه في ترتيبها ووضعها تحت سرواله.

في الواقع لم تقلق غابرييلا بسبب ذلك، فهي تعلم أن الانجذاب القوي بينهما لم يعد يشكل أي إزعاج لها، إلاّ أن ارتماءهما في حضني بعضهما لن يساعد في تخفيف الحيرة المسيطرة عليهما. ذلك الانجذاب

لم ينهِ الخلافات بينهما في الماضي، ويبدو أن ما حدث في ماجوركا هو سبب كل سوء التفاهم المسيطر عليهما منذ البداية.

شعر روفوس بالتوتر والقلق تماماً مثل غابرييلا. نظر إليها بحزن، وسألها: «هل تريدين أن تجلسي؟».

هز رأسه ما إن جلست على الأريكة الموضوعة في أحد أركان غرفة المكتب.

لم يشعر يوماً بمثل هذا التوتر في حياته، لأنه يعلم أن كل شيء الآن يعتمد على هذه المحادثة مع غابرييلا، وأن حياته بدونها ستصبح أكثر فراغاً مما كانت عليه في السابق، بل ستصبح عقيمة لا جدوى منها.

ذكرته غابرييلا بنبرة عميقة مضطربة: «قلت إنك تريد التحدث إن أصغيت إليك».

نعم، هذا ما قاله. هذا ما سيفعله مهما كلفه ذلك، عليه أن يخبر غابرييلا بالتحديد ما هو شعوره نحوها، وإلاّ فإنه سيخسرها إلى الأبد.

ركع روفوس على ركبتيه بجانبها. لم يلمسها، لكنه أصبح قادراً على الإحساس بدفئها، وعلى تنشق عطرها.

- غابرييلا! أنا لم أتركك البارحة صباحاً لأنني أردت ذلك...

قاطعته بمرارة: «لماذا رحلت إذاً؟».

ما زالت قادرة على الشعور بذلك الإحساس من الهجران الذي سيطر عليها، ما إن استيقظت في سريره ووجدت أنه رحل.

أكملت بسخرية: «بالطبع! لم يكن هناك أي حالة طارئة أخرى».

هز رأسه، وعلا الحزن ملامح وجهه وهو يقول: «بطريقة ما، بقيت مستيقظاً وأنا أضمك إلي، بعد أن غفوتِ مساء الأربعاء. في الواقع، لم أتمكن من النوم. أخذت أفكر وأفكر، وفي وقت ما... حوالى الساعة الثالثة صباحاً علمت أن علي الذهاب للبحث عن طوبي».

ذكرته باستياء: «هذا ما أخبرتني به في ملاحظتك».

- لكنني لم أذكر لك السبب. أدركت ذلك للمرة الأولى وأنا على متن الطائرة إلى لوس أنجلس، لهذا السبب رحت أتصل بك بإلحاح ما إن أصبحت في المطار. غابرييلا، أردت أن أقول لطوبي إنه إن اقترب منك ثانية، سأضربه حتى يصبح متورماً من شدة الضرب.

تابع بقسوة وهو يلوي شفتيه بازدراء: «لا حاجة للقول إن طوبي قرر البقاء في أميركا لوقت غير محدد! أما بالنسبة إلى ملاحظتي، كما قلت...».

- لحظة من فضلك، لماذا أردت إخبار طوبي بذلك؟

أوقفته غابرييلا عن الكلام، وهي تدرك أنها لا تجلس وتصغي كما طلب روفوس منها أن تفعل. في الواقع، لديها الكثير من الأسئلة لتطرحها، وهي لا تستطيع أن تبقى صامتة.

وقف روفوس بقوة، وضغط قبضتيه إلى جانبيه، ثم تنفس بصعوبة وهو يقول: «لأن ذلك الوغد حاول الاعتداء عليك منذ أربعة أشهر».

اتسعت عينا غابرييلا، وسألته: «هل تصدقني في ما قلته لك الآن؟».

- غابرييلا! ضممتك إليّ، وعانقتك أكثر من مرة، وطوال الوقت كنت تدعين أنك تكرهينني، مع ذلك لم تنفري مني باشمئزاز مطلقاً كما تنفرين من طوبي.

فكرت غابرييلا أن هناك سبباً هاماً يفسر ذلك، فهي في الواقع مغرمة به بجنون.

قطب روفوس جبينه، قائلاً: «أدركت أخيراً مساء الأربعاء، وبعد أن أتيت إلي بملء إرادتك، أن ليس هناك أي تفسير آخر إلا ذاك الذي أخبرتك به. لو أنني علمت بذلك حينها، لما كنت متسامحاً مثل والدي. يمكنك التأكد من ذلك».

لم تتمكن غابرييلا من السيطرة على نفسها، إذ وجدت صعوبة في

استيعاب ما يقوله.

- اعتقدت أنك ذهبت لرؤية طوبي لأنك لم تصدقني.

شهق روفوس، وقال يذكرها بحماسة: «تركت لك ملاحظة كتبت فيها: «حبيبتي غابرييلا» ووقعتها «زوجك روفوس» لأنني زوجك الذي يحبك غابرييلا، وسأبقى كذلك مهما كلفني الأمر».

لم تتمكن غابرييلا إلاّ من التعبير عن ارتباكها. قالت: «لكنك تريد الطلاق».

سألها روفوس غير مصدق ما يسمعه: «ماذا؟».

- طلبت من دايفيد بروستر أن يُعد أوراق الطلاق أثناء غيابك في نيويورك. لهذا السبب أرادك أن تتصل به عندما تعود.

- لحظة من فضلك!

أوقفها روفوس عن المتابعة. أخيراً بدأ يرى سبباً محتملاً للتغير الذي طرأ عليها ذلك اليوم.

يومها توقع أن يتناول العشاء معها، وهي تعمدت أن تتهرب منه، وفضلت الخروج مع صديقاتها، ثم تجنبته بشكل كامل بعد ذلك، حتى كاد يصاب بالجنون من شدة شوقه إليها، ورغبته في الحصول على كلمة أو ابتسامة منها. قال: «أنا لم أطلب من دايفيد بروستر أن يعد تلك الأوراق».

قالت معترضة، فيما عاد اللون الأحمر إلى خديها بسبب توترها الشديد: «حسناً! لست أنا من طلب ذلك. تحدثت مع دايفيد بروستر، وقال لي إن السيد غريشام طلب منه أن يعد أوراق الطلاق».

قاطعها روفوس بنعومة: «لكن هل قال لك عن أي «سيد غريشام» يتحدث؟».

قطبت غابرييلا جبينها باستغراب، وعلقت: «أنا لا أفهم».

أخبرها روفوس بنفاد صبر: «إنه والدي، غابرييلا! هو من طلب من

دايفيد بروستر أن يعد تلك الأوراق. لا تسأليني كيف، لكن هو من فعل ذلك. لأنني متأكد أنني لست من تحدث مع المحامي بشأن الطلاق».

تحرك ليصبح قربها من جديد، وليمسك يديها بين يديه، متابعاً: «غابرييلا! أنا لا أريد الطلاق، ليس الآن ولا في غضون ستة أشهر ولا حتى إلى الأبد».

شعرت أنها مرتبكة جداً، لكن لا بد أن روفوس يخبرها الحقيقة. كل ما عليها القيام به هو إجراء اتصال هاتفي واحد لتعلم إن كان يكذب. حسناً! لماذا عليه أن يكذب؟

نظرت إلى روفوس بحذر الآن، وسألته بنبرة مضطربة: «ما الذي تريده روفوس؟».

تنهد بصوت مسموع، وضغط بيديه على يديها حتى رآها تجفل قليلاً. لكن ما يحدث الآن مهم جداً له، ولن يقدم على ارتكاب أي غلطة يندم عليها في المستقبل.

قال لها بنعومة: «أريدك أنت، غابرييلا! انسي وصية والدي... انسي الماضي، وانسي كل شيء... أنا أحبك وأريدك بقوة الآن. إن قررت أن تتركيني، فسوف أستمر في إزعاجك ومضايقتك، وسأمضي كل أيامي وليالي في مناداتك. سألاحقك في كل مكان تقررين العيش فيه، حتى تشعري في نهاية الأمر بالأسى علي، وتقررين العودة إلي».

ضحكت غابرييلا من أعماق صدرها، قبل أن تؤكد له: «لا يمكنني مطلقاً أن أشعر بالأسى عليك، روفوس. أنت كبير جداً وقوي جداً، ولا يمكن مطلقاً أن أشعر بالأسف عليك».

هز روفوس رأسه قائلاً: «بدونك أنا لا أملك أي صفة من تلك الصفات، كما أنني لم أشعر بأي اكتفاء ذاتي، كما تقولين منذ بعض الوقت... منذ يوم زفافنا، إن رغبت بمعرفة ذلك... يا إلهي! غابرييلا. في ذلك اليوم...».

أغمض عينيه قليلاً، وهو يتذكر كيف كانت غابرييلا بين ذراعيه بعد ظهر ذلك اليوم.

- . . . جعلتني أشعر بأنني كامل، غابرييلا!

حدق إليها بقوة، وهو يهز رأسه ويتابع: «ملأت كل عواطفي، وغمرتني بأحاسيس لم أشعر بها يوماً، وجعلتني لك بشكل مطلق. رحت أقاوم من أجل الحصول على حريتي الشخصية منذ ذلك الوقت».

قالت بصوت مضطرب: «هذا ما حدث لي أيضاً، روفوس. أنت. . . أول حبيب لي. . . روفوس! غادرت يومها بسرعة، لأنني لم أرغب بأن تعرف ذلك. ما كنت لأتحمل سخريتك لو أنك عرفت».

أغمض روفوس عينيه، وهو يتذكر غابرييلا في ذلك اليوم، تذكر كيف أحاطته بحبها وحنانها. . .

طيلة تلك الشهور وتلك السنين راح يسخر منها، وبعد ذلك كله كان هو حبيبها الأول! أي أحمق هو؟ قالت تذكره، وهي تقطب جبينها: «أخذتني إلى الشقة التي كنت تأخذ إليها عشيقاتك».

ابتسم مستاء من نفسه، وأجاب: «لا، أبداً! أنا فقط جعلتك تعتقدين ذلك. أنا لا أستعمل تلك الشقة إلاّ إذا تأخرت في المدينة في العمل».

نظرت غابرييلا إليه بقوة لتتأكد مما يقوله، فلم ترَ إلاّ الصدق والحقيقة في نظرة عينيه الخضراوين الصريحتين.

- لكنك علمت أن هذا ما اعتقدته، مع ذلك جعلتني أستمر في تفكيري ذاك.

قال يوبخها بنعومة: «غابرييلا! لم أقل يوماً إنني أردت أن أقع في غرامك. انظري إلى الأمر من وجهة نظري. من فضلك! أنجيلا، أم هولي، تزوجت بي طمعاً بما يمكنها الحصول عليه عند الطلاق، واعتقدت أن أمك تزوجت من أبي لأجل ماله، كما اعتقدت أنك عملت

على إغوائي في ماجوركا للسبب نفسه. . .».

قاطعته معترضة: «كنت مغرمة بك حينها. أحببتك لدرجة أنني كنت متلهفة لتبادلني الحب. أحببتك دائماً روفوس. . . دائماً».

- آه، يا إلهي!

شعر روفوس بغصة في حلقه لم تدعه يكمل كلامه. الآن هو يحبها ويتلهف أن تبادله حبه بحب مماثل، بإمكانه أن يفهم تماماً ما الذي فعله بها منذ خمس سنوات.

تابعت غابرييلا بنبرة مليئة بالعاطفة: «أغرمت بك منذ اللحظة التي رأيتك فيها. لم أعمل أبداً على الإيقاع بك في ذلك اليوم. كل ما أردته هو أن تعلم كم أحبك، وأردتك أن تبادلني ذلك الحب بالمثل».

شحب وجه روفوس، وظهرت خطوط من التعب والتوتر حول عينيه وفمه. اعترف بحزن: «وبدلاً من أن أفعل ذلك، سخرت منك وهزأت بك لدرجة أنك أصبحت تكرهينني. كنت رائعة ذلك اليوم، غابرييلا. بل أكثر من رائعة. لم أجرؤ على التقرب منك، لأنني علمت أنني سأضيع إن فعلت. لذلك تعمدت أن أجعلك تكرهينني بدلاً من ذلك».

- أعتقد أنك نجحت لفترة طويلة. تصرفك هذا منعني من التفكير بأي شخص آخر أو حتى التعلق بأي شخص.

تمتم روفوس وهو يشعر بخجل من نفسه: «يا إلهي، غابرييلا! لا عجب أن فكرة الزواج بي بعد خمس سنوات من تلك الحادثة ملأتك رعباً».

في الواقع، هذا ليس صحيحاً تماماً، لأنها في أعماقها ما زالت تحبه.

بدأت تتحدث بنعومة وهي تذكره بالماضي: «بعد ما حدث بيننا في ماجوركا لم أفكر مطلقاً في التعرف أو التقرب من أي شاب آخر. لكن، أحقاً أنك تحبني بالرغم من أنك لا تعرف لماذا احتاجت أمي إلى مئة

ألف جنيه، ولا تعرف أيضاً لماذا استدنت المال من جيمس؟ إنها ثلاثون ألف جنيه، في الواقع. هل تحبني وأنت لا تعرف الإجابات عن هذه الأمور؟».

- بل أحبك غابرييلا، حتى لو كنت فعلاً تلك الجشعة المحبة للمال، وتملكين تلك الصفات التي كنت أتهمك بها دائماً. تباً! لقد أغرمت بك بالفعل، وأنا أعتقد أنك كذلك.

هزت غابرييلا رأسها متابعة: «إذاً، أعتقد عليك أن تعلم أنني ما زلت أحبك، وأنني أحببتك دائماً، وسأحبك إلى الأبد. هذا هو السبب الحقيقي الذي منعني من الارتباط بأي شخص آخر طوال السنوات الخمس الماضية».

أكدت له ذلك، لأن هذا ما أدركته بنفسها للتو.

حدق روفوس بها كأنه لا يصدق ما تقوله. استمر في التحديق بها، حتى لم تعد غابرييلا قادرة على تحمل ما يحدث أكثر من ذلك، فرمت بنفسها بين ذراعيه كما أرادت دوماً أن تفعل.

قالت بصوت مضطرب: «أحبك، روفوس! أحبك!».

تمكن روفوس أخيراً من القول وهو يتنفس بصعوبة: «لكنك... لكنك قلت إنك ستتخلين عني وترحلين».

مع ذلك بقي ممسكاً بها بقوة، لدرجة أنها بالكاد استطاعت أن تتنفس.

قالت غابرييلا بإصرار: «لأنني أحبك».

هز روفوس رأسه بانبهار، وقال بنبرة ملؤها عدم التصديق: «هذا أمر غير مفهوم لي بالمطلق. لكن ما دمت تحبينني، وما دمت موافقة على البقاء معي، فأنا لا أهتم مطلقاً بأي شيء آخر».

ضحكت غابرييلا من كلامه، لكن ضحكتها ذابت ما إن بدأ روفوس في معانقتها.

شعرت وكأنها في الجنة...

إنها بين ذراعي روفوس، وهي تشعر بحبه اللامشروط، حب يماثل حبها...

لاشك لديها أنها في الجنة!

قال وهو يرفع رأسه لينظر إلى عينيها: «تزوجي بي، غابرييلا!».

ضحكت بنعومة وهي تلقي برأسها على صدره قائلة: «نحن متزوجان بالفعل، أيها الأحمق!».

هز روفوس رأسه نافياً، وقال: «أريد أن أتزوج بك بأفضل طريقة ممكنة، غابرييلا. أريد أن تتم مباركة زواجنا من قبل الكاهن، وأن نتبادل عهود الزواج ونحن نعي كل كلمة نتلفظ بها، وأن نعلم أننا نفعل ذلك لأننا نحب بعضنا».

رفعت غابرييلا نظرها لتحدق إليه بعينيها البنفسجيتين الرائعتين. هزت رأسها، وعلقت: «إذا كان هذا ما تريده حقاً».

- هذا ما أريده أكثر من أي شيء آخر.

أكد لها ذلك بصوت مضطرب من شدة العاطفة، ثم حضن وجهها بين يديه، ونظر إلى عينيها ليتابع بكل صدق: «أنت أهم شخص في حياتي، غابرييلا. بدونك أنا نصف إنسان أو أقل، حتى إنني أشعر أنني بدونك بلا حياة».

هز رأسه باستخفاف، وكأنه يزدري بنفسه، ثم أكمل: «لا أدري كيف عشت السنوات الخمس الماضية بدونك. لا أدري إن كان ما سأقوله سيعطيك بعض العزاء... لم تعن لي أي امرأة شيئاً طوال تلك الفترة. كيف يمكن أن يحدث ذلك بعدما جرى معنا في ماجوركا؟».

قطبت جبينها قائلة: «لكن، أنت لم تتأثر مطلقاً بما حدث، أنا فقط من تأثرت».

أكد لها بصدق وقوة: «بلى! أنت أفسدتِ كل علاقة حاولت أن

أقيمها مع أي امرأة أخرى. أنت لا تعرفين كم كرهتك بسبب ذلك».

قالت تمازحه، وهي تلامس خده بأصابعها: «ما كنت لأعرف ذلك مطلقاً».

ابتسم من سخريتها، وقال: «لكنك سعيدة بشأن ذلك. أليس هذا صحيحاً؟».

أكدت له بدون أي تردد: «بشكل مطلق. لماذا علي أنا وحدي أن أعاني».

اعترف روفوس وهو يهز رأسه: «سؤال منطقي. لماذا، بالفعل؟».

أردف يسألها: «إلى أين ترغبين بالذهاب لتمضية شهر العسل؟».

أجابت بمكر وهي تبتسم: «إلى ماجوركا؟».

ضحك روفوس من سخريتها المتعمدة، وقال: «قد لا أدعك تخرجين من الفيلا لمدة شهر كامل!».

أكدت له: «وقد لا أدعك تخرج من الفيلا لمدة شهر أيضاً».

ضحك روفوس من جديد وأجاب: «يبدو المكان مناسباً لي».

- ولي أيضاً.

هزت غابرييلا رأسها، وتراجعت إلى الوراء قليلاً، ثم تابعت: «لكن هناك بعض الأمور التي يجدر بي أن أخبرك بها، روفوس».

هز رأسه غير راغب في معرفة أي شيء، وقال: «لا أريد أن أعلم. ما كان بين أبي وأمك أمر يخصهما، ولا علاقة لي به».

اعترف روفوس بذلك أخيراً، فزواجه من أنجيلا كان أمراً مختلفاً، أما زواج والده من هيثر فهو زواج مبارك ومختلف كلياً عن زواجه. تماماً كما أن غابرييلا هي امرأة مختلفة عن أنجيلا بشكل مطلق.

ابتسمت غابرييلا قائلة: «لم أكن أتحدث في الواقع عن ذلك. مع أنك بحاجة لتعلم لماذا أمي...».

- لماذا أنا بحاجة؟ مهما كانت أسباب هيثر، فأنا متأكد أنها هامة.

لا يمكن لأبي أن يحبها كل ذلك الحب لو لم تكن امرأة صالحة ومحبة.

قال ذلك باقتناع راسخ وبنبرة صادقة.

رفعت غابرييلا نظرها إليه متسائلة، وقالت: «أنت فعلاً تغيرت. أليس كذلك؟».

هز روفوس رأسه، وأجاب: «راقبت زوجة مدير شركة غريشام في نيويورك، وهي جالسة قرب سرير زوجها حتى وفاته. علمت حينها أنني تركت كبريائي وأوهامي تتحكم بتصرفاتي، وتسلبني أموراً كثيرة هامة في حياتي. أتمنى الآن لو أنني تعرفت فعلاً بهيثر، كما أنني لن أدعك ترحلين عن حياتي مطلقاً، غابرييلا».

أكد لها وهو يضغط بذراعيه عليها متابعاً: «لن يكون هناك أي انفصال بيننا ولا طلاق، بل خمسون أو ستون سنة من الزواج بك، ومن رؤيتك كل يوم، ومن التمتع بحبك في كل لحظة».

قاطعته غابرييلا بنعومة:

- ومن إنشاء عائلة وتربية الأطفال معاً.

رقت ملامح وجهه، وعلق: «فقط، إن كان هذا ما تريدينه غابرييلا!».

مجرد التفكير في أن هذه المرأة الجميلة الفاتنة قد تصبح حاملاً بطفل منه أمر يحبس أنفاسه، لكنه لا يريد ذلك إلا إذا رغبت هي في إنجاب الأطفال، فهو يريد فقط كل ما تريده غابرييلا، وهذا ما سيحدث طوال حياتهما معاً.

رفعت بصرها لتحدق بعينيه، وتقول بصوت مليء بالتأثر والعاطفة: «أنا حامل، روفوس! لهذا السبب أردت الرحيل».

حدق إليها روفوس بصمت كالمصعوق. بدا غير قادر على التنفس. غابرييلا حامل! لكن...

هزت رأسها كأنها تجيب عن السؤال الذي لم يتلفظ به: «منذ

حوالى الأربعة أسابيع. أي أن ذلك حدث بعد ظهر يوم زفافنا... في شقتك».

لم تكن غابرييلا قادرة على تصديق ذلك. عندما حاولت النهوض من سرير روفوس صباح البارحة، شعرت بدوار فجائي، فجلست على الفور.

تذكرت لحظات مماثلة شعرت خلالها بدوار خفيف خلال الأسبوعين الماضيين، لكنها عزتها دائماً إلى الأزمات والأوضاع الصعبة التي تمر بها.

جلست في مكانها صباح البارحة، تفكر في الأسابيع التي مرت منذ زواجها بروفوس، وأدركت أنها لم ترَ دورتها الشهرية منذ زواجها، لهذا توقفت في طريقها إلى مكان عملها البارحة عند أول صيدلية مرت بها، لتشتري علبة اختبار فحص ذاتي للحمل.

أما النتيجة فأتت إيجابية...

شعرت غابرييلا بمزيج غريب من العواطف: الفرح، لأنها تنتظر طفلاً من روفوس. الخوف، لأنها تعلم أنه سيتهمها بأنها أقدمت على الحمل منه من أجل الإيقاع به والاحتفاظ به كزوج لها. وجدت الحل الوحيد لمشكلتها هو أن تتركه وترحل. حتى لو أدى ذلك إلى خسارة روفوس لشركة غريشام.

حرك روفوس يده فوق بطنها... طفلهما... بالكاد يستطيع أن يصدق ذلك.

سألها بقلق: «هل أنت بخير بالرغم من ذلك؟».

أكدت له بثقة: «آه! بخير فعلاً، فهذا أكثر مما حلمت به يوماً، وأكثر مما أملت به! آه! أجل، روفوس. أنا سعيدة جداً بشأن هذا الطفل».

- إذاً، أنا سعيد به أيضاً!

ضمها إليه بقوة، وبدأ بمعانقتها، وهو يعلم أنها كل عالمه، وأنه لا يستطيع الاستمرار في الحياة ليوم واحد بدونها.

علقت غابرييلا بعد مرور عدة دقائق: «برأيك، ما هو شعور هولي عندما تعلم أنه سيصبح لديها أخ صغير أو أخت صغيرة؟».

ابتسم روفوس، وأجاب: «أعلمتني ابنتي قبل الآن، أنني إن لم أحتفظ بك كأم لها، فهي لن تكون سعيدة أو راضية مني مطلقاً».

- ونحن لا نريد أن يحدث هذا. أليس كذلك؟

ضحكت غابرييلا بفرح، فأكد لها روفوس بحزم: «ما يهمني بالفعل غابرييلا هو سعادتك أنت، فهذا ما يشغلني. يا إلهي! هناك الكثير من الأمور التي يجدر بي التعويض عنها».

توقف عن الكلام ما إن وضعت غابرييلا أصابعها على شفتيه ليصمت.

- لننسَ الماضي روفوس ونتابع حياتنا بسلام. نحن نحب بعضنا ولدينا هولي، كما أننا سننجب طفلاً. لنركز على هذه الأمور الإيجابية، مفهوم؟

إنها متسامحة جداً هذه المرأة التي يحبها. وروفوس سيعمل جاهداً كي لا يعطيها أي سبب لتندم على هذا الكرم العاطفي والولاء له.

- هناك بعض الأمور... أنا بحاجة لأخبرك بها.

- نحن نعمل على تخطي الماضي ومتابعة حياتنا بسلام. أليس هذا ما قلته، غابرييلا؟

هزت رأسها موافقة، لكنها تعلم أنها بحاجة إلى إيضاح هذه الأمور قبل أن يفعلا ذلك.

- أنا بحاجة لأشرح لك عن القرض الذي أخذته من جيمس... وكذلك عن أمي.

قال روفوس بحزم: «قلت لك، لست بحاجة لأعرف أي شيء».

قالت بإصرار: «لكنني بحاجة لأخبرك».

أخبرته عن المشاكل التي تعرضت لها منذ سنة، وعن السبب الذي دفع جيمس لإقراضها المال. تابعت: «لكن هناك اتفاق قانوني ينص على أنني أدين له بالمال، وأنا من أصريت على أن يُبرم هذا العقد... ما كنت لأستطيع أن أسمح لطوبي أن يضع يديه عليه».

تمتم روفوس باشمئزاز من نفسه: «فضلت الزواج بي على أن يحدث ذلك. أليس كذلك؟».

الآن عرف بالتحديد لماذا قبلت غابرييلا الزواج به.

ابتسمت غابرييلا بحزن، وأجابت: «أجل. لكن دايفيد بروستر يملك عقداً آخر. هناك اتفاق طلبت منه أن يحضّره. بعد أن أتى طوبي إلى مطعم غابرييلا بعد ظهر ذلك اليوم، وشككت أنت أن هناك نوعاً من المؤامرة ضدك».

ذكّرته رغم العبوس الواضح على وجهه: «بعد ظهر ذلك اليوم، عندما اختفيت، وأنت أردت أن تعلم أين ذهبت».

قال ببطء: «يراودني شعور أنني لن أحب ما سأسمعه».

اعترفت غابرييلا أنه ربما لن يحب ذلك أبداً، لكن في ذلك الوقت شعرت أن هذا ما عليها القيام به. وهذا ما ستبوح به لروفوس عندما تجد الوقت مناسباً. والآن هو الوقت المناسب.

قالت تفسر له ما حدث: «وقعت على أوراق تعيد لك كل شيء إلا حيازتي لمطعم غابرييلا، كما أنني أصريت على أن يعود إليك استيفاء المبلغ الذي أدين به لجيمس وهو الثلاثين ألف جنيه بعد انتهاء الأشهر الستة لزواجنا».

أظلم وجه روفوس، وقال: «هل أنا حقاً ذلك الوغد الذي دفعك إلى القيام بذلك؟ حسناً! بإمكانك أن ترمي ذلك الاتفاق في سلة المهملات، غابرييلا».

أضاف بصدق: «من الآن فصاعداً حبيبتي، سنصبح شريكين في كل شيء، حتى في أموال غريشام وممتلكاتها!».

ابتسمت غابرييلا له ابتسامة مليئة بالسعادة والثقة، وقالت: «أحبك، روفوس!».

أكد لها بقوة: «أنا أيضاً أحبك أكثر من الحياة ذاتها».

إنها تصدقه، وتكاد تتخيل السنوات القادمة لزواجهما ولوجودها بقرب روفوس. هي تعلم أن حياتها ستكون رائعة معه، وسوف ينشئان عائلة سعيدة...

- ما زال هناك القرض الذي أخذته أمي. عليّ أن أشرح لك أسبابه.

- قلت لك إن هذا الأمر بين أبي وهيثر، ولا علاقة لي مطلقاً به.

عانقته غابرييلا قبل أن تتابع: «بعض هذه الأمور لم أكن أعلم بها حتى أخبرتني عن القرض، فتحدثت مع أمي بشأنه. كنت أعلم أن والديّ لم يكونا زوجين سعيدين، وأن أبي كان عاطلاً عن العمل، يمضي أمسياته خارج المنزل، لكن لم تكن لدي فكرة عن مدى استهتاره. كنت طفلة، وكنت أجده مسلياً ومرحاً، لكن ما إن بدأت أكبر حتى أصبحت أسمع شجاراتهما، وأرى أمي قلقة ومتوترة. لم يكن هناك مال لدفع الفواتير المستحقة أو لشراء الحاجيات الأساسية...».

قاطعها روفوس: «من فضلك غابرييلا، لا تتابعي!».

أكدت له بنعومة: «لا بأس، روفوس! أريد أن أخبرك بذلك. عملت أمي جاهدة لتحميني من القلق، لكن أبي كان مقامراً. بعد موته علمت أمي أنه لم يقدم فقط على رهن المنزل أكثر من مرة، بل استدان مبلغاً كبيراً من المال، كما أنه احتال عليها لتوقع على قروض وديون تعدت المئة ألف جنيه. هذا ليس كل شيء، بل كانت لديه زوجة في إيطاليا، تخلى عنها قبل سنين عدة من زواجه بأمي، ولم يزعج نفسه بإرسال

أوراق الطلاق لها، بل تزوج من أمي وأنجبني».

رمشت غابرييلا بعينيها لتتخلص من الدموع التي تشكلت فيهما، وتابعت: «أشعر بالخجل من اسم عائلتي «بنيتو»!».

- لا داعي لذلك، لأن اسم عائلتك الآن غريشام.

قال لها روفوس ذلك، وهو يضمها إليه ويتمتم: «يا إلهي، غابرييلا... كم كنت أحمق!».

هزت رأسها وعلقت: «كيف لك أن تعلم بذلك، روفوس؟ أنا لم أعرف بتلك الأمور حتى أخبرتني أمي بالحقيقة».

- حسناً! سوف ننسى تلك الأمور بشكل مطلق، إذ لا أهمية لها أبداً. ما يهمني الآن هو بقاؤنا معاً.

ثم نظر إليها نظرة مليئة بالحب، وتابع ممازحاً: «والآن، هل نستطيع أن ننسى ذلك كله، ونتابع حياتنا بسلام؟».

تنهدت غابرييلا وهي تشعر برغبة جامحة للقيام بذلك.

قالت: «آه! أجل. هذا كل ما أريده. ما أردته دوماً هو أن أكون معك، وأن أحبك، وأن أحصل على حبك في المقابل».

أكد لها روفوس بكل ما لديه من عاطفة وحب: «حتى آخر أيام حياتنا. أعدك أننا سنعيش سعيدين معاً، غابرييلا».

خاتمة

قالت غابرييلا بحماس وشوق وهي تنظر إلى الرسالة في يد زوجها: «ما الذي كُتب فيها برأيك؟».

تمتم روفوس بهدوء:

- لنفتحها ونرى.

مرت الأشهر الستة من زواجهما سريعة كالحلم، لكن تغيرات كثيرة حصلت فيها. هذا ما لاحظته غابرييلا برضى وفرح.

تبادلا عهود الزواج في الكنيسة، بحضور العائلة والأصدقاء. كانت هولي إشبينة العروس، وهو أمر أخذته بمنتهى الجدية والفخر. أما هديتهما المباركة لهولي فكانت المهر الصغير الذي طلبته سابقاً، وقد أحبته كثيراً وراحت تعتني به جيداً.

أكد روفوس لغابرييلا أنها بعد مرور ستة أشهر من الحمل، ما زالت تبدو بمنتهى الجمال في نظره. أما هي فحبهما جعلها تشعر أنها أكثر جمالاً بالفعل.

لم يعد روفوس ذلك الساخر، بل أصبح زوجاً وأباً محباً سعيداً مرتاحاً.

ابتسمت غابرييلا بمرح، ما إن تذكرت الوقت الذي أمضياه معاً هذا الصباح، قبل أن يذهبا لرؤية دايفيد بروستر.

انتهت مدة الأشهر الستة، وطلب منهما المحامي أن يحضرا اليوم إلى مكتبه.

سلمهما رسالة كتب عليها، «إلى غابرييلا وروفوس»، وقال لهما معتذراً: «أعلم روفوس أنك سألتني إن كان هناك أي شيء آخر في وصية السيد غريشام، يجدر بك أن تطلع عليه، لكن هذه الرسالة لم تكن فعلياً من ضمن الوصية».

ابتسم لهما دايفيد بروستر، وتابع: «من المفترض أن أقدمها لكما معاً إن قررتما البقاء متزوجين بعد نهاية الأشهر الستة، وأرى أن هذا ما قررتماه».

نظر متعمداً إلى حمل غابرييلا الواضح.

شدّ روفوس على يد غابرييلا وهو يقول بنبرته المتفاخرة المعهودة: «لن تتمكني من الوصول إلى أبعد من الباب إن حاولت الابتعاد عني».

أجابت غابرييلا بسخرية: «لحسن الحظ أنني لا أريد الابتعاد. أليس كذلك؟».

قال لهما المحامي وهو يودعهما:

- إنني حقاً سعيد جداً من أجلكما. وأنا متأكد أن هذا ما كان السيد غريشام يريده فعلاً.

نظر روفوس إلى الرسالة المغلقة بين يديه، بعد أن جلس مع غابرييلا في سيارته المتوقفة أمام مكتب دايفيد بروستر. ابتسم بتأثر، ثم قال:

- إنه يعرف والدي جيداً. أنا أيضاً أعتقد أن هذا ما أراده بالتحديد.

قالت تحثه:

- افتحها!

ثم مالت ووضعت رأسها على كتفه ما إن بدأ يفتح الرسالة.

«عزيزاي غابرييلا وروفوس.

ما دمتما تقرآن هذه الرسالة معاً، فذلك يعني أن بإمكاني تهنئتكما لأنكما قررتما البقاء متزوجين، وأن دايفيد بروستر أتلف أوراق الطلاق التي طلبت منه تحضيرها، إذ لربما كنت مخطئاً في النهاية.

لكن حقيقة أنكما تقرآن هذه الرسالة يعلمني أنني لم أرتكب أي غلطة في ما فعلته، وأنكما معاً أدركتما، كما فعلت منذ زمن بعيد، أنكما مناسبان جداً لبعضكما. من فضلكما، اغفرا لرجل عجوز تدخله، لكنني فعلاً أحبكما كثيراً، وكل ما أردته هو أن تكونا سعيدين.

روفوس! غابرييلا هي ابنة قلبي، وأنا أتمنى بكل صدق أن تكون الآن محور حب قلبك، فتحميها وتحبها طوال حياتكما معاً.

غابرييلا! روفوس هو الإبن الذي يفخر أي رجل بأن يقول إنه ابنه، وأتمنى أن يصبح الرجل الذي تفخرين أنه زوجك، والذي تحبينه وتدللينه إلى الأبد.

ولداي! ما كنت لأتمنى أو آمل بأي أمر أكثر روعة من أن تجدا بعضكما أخيراً. أتمنى أن تحبا بعضكما، وأن تنشئا عائلة معاً. وأن تشيخا معاً.

تأكدا أنني الآن مع حبيبتي هيثر، وأننا سنبقى معاً دائماً. وفخرنا بكما لن يتغير أبداً.

جيمس».

تأوه روفوس بعاطفة صادقة وقال:

- يا إلهي!

طفرت الدموع من عينيه، ما إن استدار لينظر إلى غابرييلا.

قالت غابرييلا وهي تكاد تختنق بالدموع:

- آه، جيمس!

مدّ روفوس يده ليضمها بين ذراعيه، وهو يقول: «أنت حب قلبي وحياتي، وأقسم لك إنني لن أدع أحداً يسبب لك الأذى طوال عمري».

أقسم لها روفوس بذلك بكل قوة وصدق.

قالت غابرييلا وهي تتمسك به:

- وأنت حب حياتي أيضاً، روفوس. أنا أشعر بالفخر لأنك

زوجي، كما أنني سأحبك وأتعلق بك طوال عمري.

بعد مرور ثلاثة أشهر وُلد جيمس هيث غريشام في كنف والدين محبين شغوفين ببعضهما.

أما هولي فبدت سعيدة جداً بأخيها الصغير، إذ سرعان ما وجدت لنفسها مهمة جديدة هي المساعدة في الاهتمام بجيمس الصغير.

يا لها من عائلة سعيدة! شكراً جيمس!

www.newsky.com Breathless